المعراج والناي

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

- **الكتاب: المعراج والناي**
- **المؤلف: بوزيد سعودي**
- **نوع العمل: مسرحيات**
- **الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

- **رقم الإيداع : 2019 / 22933**
- **الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6754-64-5**
- الغلاف: ببلومانيا
- تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
  عنوان (2): 38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

المعراج والناي

(ومسرحيات أخرى)

مسرحيات

بوزيد سعودي

www.bbibliomania.com

2019

المعراج والناي

شخوص المسرحية

صنعان جميلي: عازف ناي عزفه يسحر القلوب والألباب

ينشد المعرفة والحقيقة

المعلم شمس:أستاذ "صنعان جميلي" وملهمه الذي علمه المعرفة الذوقية والسماعية، وهو الذي أهداه ناي الحقيقة واصطحبه إلى الأقاليم الكبرى

ماهر قصب:والد جميلي

السيدة جنان: محبة لسماع وعازفة زوجة ماهر قصب وأم صنعان جميلي

رستان:الأخ الشقيق لصنعان جميلي

*****

الفصل الأول

المشهد الأول

المنظر العام

في حجرة مفتوحة على حديقة،بشكل لافت،أثاثها منتقى،سجادة محاكة بدقة مطرزة ، تتوسطهاوتحيط بها مجموعة من الوسائد ، في الجهة اليسرى أريكتان،يقابلهما درج صغير، به في الزاوية اليمنى في قمته ،بساط أخضر وبجانبه صندوق خشبي مزركش ، فوقه شمعدان،يجاوره معلاق خشبي عليه مجموعة من الثياب، وفي الحائط المقابل ،ينسدل ستار أسود،مخضبا بالحمرة ،يؤطره إطار خشبي،علقت به مجموعة من التحف.

ضوء النهار يرتفع... تتراءى امرأة في العقد الرابع ، عليها مسحة من الجمال، والوقار ،وهي توضب أثاث الحجرة ، وتطلق العنان لصوتها الشجي ، كرقرقة ماء،ينساب من نهر صاف.

السيد ماهر قصب: (وهو يدخل الحجرة من أحد الأبواب،المطلة على الفضاء الخارجي) طاب صباحك ، حديقة قلبي.

زوجته السيدة جنان:(وعلى محياها مسحة من البهجة ،والفرح)....أهلا بالصباح وأهلا بطلته ،أعرف أنك مررت بالحديقة قبل دخولك الآن.

السيد ماهر قصب: قليلا لا يمكنني إلاأن أتملى حديقتي، التي يتجلى فيها كل الجمال...لكن حلما رأيته،أمتزج فيه الخوف بالفرح.

السيدة جنان : (مخففة من روعه) لا عليك، الأحلام هي هكذا ، تتلون بما نحب،وبما لا نحب ، ولكنها فسحة منفلتة من عقال العقل ومحددات الحياة

السيد ماهر قصب:لكنها متعلقة،بابننا صنعان جميلي.

السيدة جنان: ماذا ؟ هو منغرس في قلبك ، كفسيلة نخل.. لذا تحلم به ..السيد ماهر قصب:لكنه هذه المرة تختلف عما رأيت سابقا،(مواصلا ومسترسلا)رأيت صنعان جميلي ، في غابة موحشية،كأنه يبحث عن شيء لكنه غير مكترث لما يلاقيه من صعاب ،بل يعزف على ناي مارأيت جمال أنغامه قط ،كأنه يحاور به كل الكائنات،والكل مصغ إإليه.

السيدة جنان : لا أعرف كيف أفسرذلك،سوى أن ولدناصنعان جميلي متميز منذ صباه ، وقبل أن يجيء إلى هذه الدنيا، ما مر علي في حمله ووضعه وصباه ،كلها مؤشرات لما تخفيه الأقدار ... أتريد قليلا من الشاي ؟

السيد ماهر قصب: لا.. لا شكرا ...ألم يستفيقا؟

السيدة جنان:"صنعان جميلي" خرج باكرا كعادته، ليعانق الصباح ،ويتماهى مع بلابله ،وجداوله الرقراقة ، وطبعا بمعية نايه الأرجواني،أما"رستان" مازال يغط في نومه ،ولا أظنه يتأخر في الاستيقاظ،هكذا هم الشباب ، كثيرا من السهر، قليلا من النوم ،إلا من صفت أرواحهم واستمدت طاقاتها من أنهار الحب.

السيد ماهر قصب: الأول مستغرق في روحه ،والثاني مستغرق في جسده وأنا أسعى إلى التوحيد بين روح يذبل جسدها،وجسد يحاصر روحا ..(مسترسلا)... هل مازال"صنعان جميلي" يتردد على ذلك المشعوذ الذي يتخذ من السماع طريقاللوصول إلى السعادة ؟... هه هه هه

السيدة جنان:أظنك تقصد ، المعلم شمسا؟

السيد ماهر قصب : هو بعينه ، الكثيرون يتحدثون عن تخاريفه ، رغم أنه عازف ناي بارع ، لكن البراعة لا تكفي وحدها ياعزيزتي ..

السيدة جنان: (وهي منهمكة في نفض الغبار، بالمنشة عن الأريكة والستائر)... الناس يتحدثون عن كل شيء، وفي كل شيء، والمعلم شمس، لن يكون الاستثناء.

(يدخل إلى الحجرة الشاب روستان ،وهو يتثاوب).... الشاب روستان: يظهر أن الشمس قد استدارت،عفواعمتما صباحا أو مساء ..لا أدري.

السيدة جنان: رستان بني ،لا عليك،النهار لم ينتصف،وموعد تدريباتك فيما أعتقد لم يحن بعد ، هل تناولت وجبتك الصباحية ؟

الشاب رستان:بالتأكيد عرجت على المطبخ ، قبل مجيئي إلى هنا .

السيدة جنان: حسنا ليبارك الله سعيك .

السيد ماهر قصب: الجسد كما يحتاج إلى رياضة وتدريب، فهو يحتاج إلى روح خيرة..أليس كذلك ؟

الشاب روستان: (مغيرا وجهة الحوار)... هل خرج باكرا كعادته ؟ لاشك أنه يقيم في ذلك الكهف الجبلي عند ذلك المشعوذ.

آه ... علي أن أجهز نفسي للذهاب إلى التدريبات (ويخرج مسرعا)

السيد ماهر قصب : لست مطمئنا عن ولدي صنعان جميلي ...مارأيته في منامي أرعبني فعلا...

السيدة جنان : هون عليك ياعزيزي ،ولدنا صنعان جميلي موهوب، روحه صافية،إنه محبوب من طرف الجميع ، وربما هذا ما يخيفني قليلا.

السيد ماهر قصب: أريت أن حب الجميع له، يخيفك.؟.. ماذا لو رأيت الطيوروالضواري ، في المنام منصتة مطرقة لمعزوفاته الشجية ؟

أكيد.. سيتملكك الفرح والرعب معا ....لذا علينا أن نكتشف العلاقة بين ولدنا" صنعان جميلي"، وبين ذاك المشعوذ .

السيدة جنان : أظنك تقصد كعادتك المعلم شمسا ؟

السيد ماهر قصب: نعم نعم ..علينا أن نراقبه من بعيد ،سأخرج إلى الغابة العذراء متبعا أثره، حتى أصل إلى الكهف الجبلي ..

لأسمع وأرى ما يحدث .

السيدة جنان : سأكون معك ،أريدأن أستمتع بتك الألحان، التي تنبعث من ذلك الكهف الأسطوري.

السيد ماهر قصب : (مترددا)... الغابة العذراء مخيفة عزيزتي، ولا أرى لوجودك هناك ،أي داع ..

السيدة جنان : لا عليك ،سأكون بخير، طالما سيرتشف قلبي، وسمعي،كأسا من شفيف الناي..

السيد ماهر قصب :حسنا هيا جهزي نفسك،وسأرتدي أنا لباس الصيد،إنها فرصة من فرص المخاطرة ،التي علينا أن لانضيعها رغم صعوبتها .

*****

المشهد الثاني

(ينهمكان في تحضير مايلزم للخروج إلى الغابة العذراء، ثم ينصرفان ...تسمع أثرأقدامهما وهما يتجهان إلى الغابة العذراء...تسمع ألحان ناي يرتد صداها بين الجبال،المغاور،والأحجار،والأشجار،وهمايقتربان من الكهف الجبلي الذي له عدة مداخل تؤدي إلى وسطه المطل على الغابة العذراء ... أمام الكهف الجبلي . يشير السيد "ماهر قصب"، لزوجته "السيدة جنان"أن تتقدم ،وهو يدخل من إحدى الممرات، المؤديةإلى وسط الكهف، لكن "السيدة جنان "استسلمت لبكاء الناي وهو يذرف دموعا في شكل ألحان،وأنغام تلهب المشاعر)

السيد ماهر قصب :هيا اقتربي ..

السيدة جنان:(هامسة)سأقترب. (بصوت خافت) آه نسيت نفسي ياإلهي..أصوات الناي وأنغامه،تسلب لبي مع روائح بخور الصندل التي تعطر أجواء المكان ...

(يقبع "السيد ماهر قصب" وزوجته "السيد جنان" خلف فتحة تطل على وسط الكهف الجبلي، الذي يتراءى فيه الشاب "صنعان جميلي"،يجلس على حصير من ألياف، منهمكا في العزف على الناي ، بقربه المعلم شمس وهو يتواجد)

(ترتفع أنغام الناي، مع تسارع تواجد "المعلم شمسا "، في حين يلتزم السيد "ماهر قصب "والسيدة "جنان "الصمت ويرحلا بمخيلتهما ،في عوالم زاخرة بالانتشاء)

(يشير "المعلم شمسا"إلى النایاتي "صنعان جميلي"،أن يسرع إيقاع الوصلة ،حتى يصلا معا إلى لحظة الانخطاف)

(يتوقف إثرها على العزف، ومعه التواجد،والتأوه)

(يهم "صنعان جميلي" برفع قدح بجوار كوز من الماء لكن المعلم شمس يشير إليه بإشارة غير مفهومة لديه)

صنعان جميلي: فقط شربة ماء ،أيها المعلم .

المعلم شمس: معناه أن روحك ظلت ظامئة،إذا كنت تسير إلى النبع ،لا تسأل عن العطش يابني .

صنعان جميلي : معلمي.. أريد أن أسقي جسدي ،لا روحي .

المعلم شمس:ستسقي روحك جسدك .لو صبرت على ذلك.

صنعان جميلي : لكنه الماء ،أحد الثلاثة المكونة للوجود

المعلم شمس : ناولني الناي الذي يشبهك .

صنعان جميلي:أظنك يامعلمي تقصد الناي ،الذي يصحبني، والذي أعزف عليه.؟

المعلم شمس : ذلك ما أقصد،أيها المريد ...عفوا التلميذ.

(يبدأ المعلم شمس العزف ، لكنه سرعان ما يتوقف)

المعلم شمس: ما أضيق حنجرة هذا الناي؟ .. لكن قلبه مليء بالإشجان .

صنعان جميلي:أهذا يشبهني ؟أشعرأن قلبي تائه، في براري الحياة ، تطوحه الغربة.

المعلم شمس : حتى تتسع حنجرة الناي، الذي يشبهك ، ويتماهى مع غربة قلبك،لابد لك أن ترحل إلى الأقاليم الكبرى.

(تحاول السيدة "جنان"أن تصرخ ، حين تحركت عاطفة الأمومة،عند سماعها "لابد أن ترحل"، لكن.. زوجها "ماهر قصب" استطاع أن.يكتم صوتها وصراخها. بوضع يده على فمها ،كيلا يسمع صوتها، ظنا منه أن ينكشف أمر وجودهما،وهما عند إحدى الفتحات المطلة على وسط الكهف الجبلي ، الذي يقبع فيه النايات العارف"المعلم شمسا" والنياتي التلميذ المريد "صنعان جميلي")

صنعان جميلي : إلى أين أرحل يامعلمي ؟ لا أريدأن أفارقك.

المعلم شمس :أستمع إلى هذه المعزوفة ،من الناي الذي صحبني ، منذ أكثر من خمسين عاما .

يبدأ في العزف فيسكن كل شيء، ويخيل للمسافر في الروح ،أن كل الطيوروالهوام ،تقف مشدودة لبكاء الناي

(وفي هذه الأثناء لم يستطع ، المريد التلميذ "صنعان جميلي" تمالك نفسه من تأثير السماع ،و غلبة الحال ، فقام متمايلا.. كشجرة خريف عارية من دثارها، وتسارع ميلانه مع تسارع الإيقاع ،وشدة تأثيره ..... ثم ما لبث أن توقف فجأة،طالبا من معلمه)

صنعان جميلي : معلمي قطعت أوصالي، وتسارع نبضي ، وحلقت في عوالم ، كنت كطائر يخترق طبقات من غيوم رمادية ،كأنه يبحث عن شيء ثمين .

المعلم شمس :(يتوقف عن العزف ، ويضع الناي على ركبته)... قائلا :
لا بد أن تسافر إلى الأقاليم الكبرى..

صنعان جميلي : لكنني لم أسافر خارج مارسم لي ..

المعلم شمس: لكن وجودك عبارة عن أسفار، من عالم التكوين ،إلى عالم التلوين ،إلى عالم التمكين،ومن التغميد إلى التجريد، إلى التفريد..كل شيء مسافر فيك،أنفاسك تسافر من الشهيق إلى الزفير، وخيالك دائم السفر إلى عوالم تشيدها، وتهدمها ،لتمحو،أثار الخطى والندوب .

حروف كلامك،وإيقاع صوتك، وعزفك، يسافر من أعماق النفس إلى أرواح وقلوب تعبرها،وحين تسافر في الحب ترحل من أناك إلى أنوات أخرى تقاسمها معاني الجمال، والأجمل أن تسافر بقلبك إلى عوالم لانهائية حيث الحب الأسمى، والمقام الأسنى.

صنعان جميلي: أجمل سفر .. خبرته .. هو سفر الناي .. كم هو ممتع التحليق عاليا.. حيث تكون مابين الأرضي والسماوي.

المعلم شمس: هو ذاك بعض من كله .. لابد أن ترحل إلى الأقاليم الكبرى، وستذوق المعرفة، وتغرف من نهرها وستحرق بنار العشق ،وتفارق الأغيار، وتمحو الرسوم ،والديار.

صنعان جميلي :هل سآخذ معي الناي ؟

المعلم شمس: بالتأكيد، هو أيضا يحن إلى أصله، بعدما عاش الغربة ، فكان حنينه نغما وألما.

(يسمع صوت الأم السيدة "جنان " تحاور زوجها السيد ماهر قصب): لايمكن أن نظل صامتين ، لا أريد أن أفقد ابني صنعان جميلي .

(يحاول الزوج السيد "ماهر قصب "التخفيف من مخاوفها ،رغم ما ينتابه من رعب داخلي)

السيد ماهر قصب:لا تخافي عزيزتي لن نفقد ولدنا صنعان جميلي ولن نسمح للمشعوذ شمس المضي في مخططاته المشبوهة .

صنعان جميلي: أيها المعلم أتسمع ما أسمع؟؟

يظهر أن هناك من يراقبنا ...

المعلم شمس: قلبان، يحترقان بالفطرة ..هدير نبضاتهما ،يخترق طبلة أذني،إنهماأحن عليك.. لكن الأقدارتدفع الجميع .

(مسترسلا ومتوجها إلى السيد والسيدة).. شرفا كهفنا المتواضع .

(يسمع صوت) السيدة جنان: يارجل ،لم يعد في الإمكان الاختباء،لقد صار الأمر واضحا ، عند المعلم شمس كنت أحس أنه شعر بوجودنا منذ أول وهلة ولوجنا هذا الكهف ...هيا ..هيا

السيد ماهر قصب: حسنا .. لابد من وضع حد لهذه العلاقة التي تخفي بين ثناياها دجل، وشعوذة ،ظاهرها فنون ،وباطنها جنون.

هيا هيا ..(ويدخلا الى وسط الكهف ، حيث يجلس " المعلم شمسا" على حصير، والناي بين يديه،إلى جانبه صندوق خشبي، وفي أعلى الكهف يظهر قنديل معلق،أما الشاب "صنعان جميلي" فبمجرد رؤيته لأبويه تجمدت عروقه من فرط الدهشة!!

صنعان جميلي:(مندهشا)..أمي والدي (وتقبل عليه أمه محتضنة)

السيدة جنان:(وهي محتضنة ابنها).. ياروحي .. ياقلبي ما أطول المدة التي كان قلبي ينزف أمامك، وجسدي تقطعه سكاكين الخوف عليك... خلف تلك الفتحة المطلة على الكهف .

السيد ماهر قصب :(بانفعال متوجها إلى المعلم)..أنت أيها المشعوذ المشرد ... (يهجم عليه يحاول خنقه)

(يتدخل "صنعان جميلي"مذعورا...محاولا إنقاذ المعلم شمس من كماشة أيدي والده)

صنعان جميلي: لا.. ياوالدي العزيز ،أرجوك.. ذاك معلمي ..أعلم مدى خوفك علي،والحرص على سلامتي ..لكن دعه لقد أسأنا إليه، وهو جدير منابالاحترام، أرجوك أبي.

(وتحاول الأم من جهتها ،أن تثني زوجها عن مواصلة هجومه على المعلم شمس)

السيد جنان: المعلم شمس هو بالتأكيد يريد أن يجعله بارعا في العزف على الناي ، وهو يحبه كثيرا كابنه..لا يجب أن يرى منا إلا بما يليق به..صحيح نحن نتخوف

من وجود ولدنا في مغارة كهذه وسط الأحراش والأدغال لكن علينا أن نستوضح حقيقة الرحلة .

المعلم شمس : (وهو يحاول أن يستعيد قواه بعد هجوم السيد ماهر قصب بصعوبة بالغة يتحدث:

لست مندهشا ،الابتلاءات فواكه أيامي، كلما أينعت طاب الرضا ...لا عليك إن عاطفة متأججة في صدره ،لا يقوى على إطفائها، إلا بنقل أوارهاإلى جهة أبعد .. هكذا هي الأبوة، سفر الأصل إلى الأصل.. والأمومة وطن الرحم الأول، سفر وغربة .

صنعان جميلي: هون عليك معلمي ، لم يكن يقصد والدي إيذاءك .. حملني السبب، وأسقط علي كل أنواع العقاب على جسدي ،لكن العقاب الذي لا أطيقه،أن يميل علي قلبك جانبا .

تتدخل الأم السيدة "جنان":أعرف أنه لم يكن لائقا ، مداهمة محرابك الجبلي ، لكنها نوازع النفس، وقواها تأسرنا.. إن حديثك للناي، هو حديث روح.. وجميلي روحا ،التقت مع روحك.. لتسلك بها طريق الحقيقة ..تلك الحقيقة التي نطاردها، والتي هي غاية وجودنا .

السيد ماهر قصب:لن أعتذر عما بدر مني..إنك بسحرك ،وغواياتك ،وشعوذاتك تحاول أن تنحرف بولدنا عن بهجة الحياة ،التي يجب أن يعيشها جسدا ،ومتعة وطموحا .

المعلم شمس:إنه مستمتع، بما هو ممتع ...إن الإمتاع هو جدول رقراق من نهر المتعة الصافية..

صنعان جميلي :آه(يأخذ نايه ، ويطلب الإذن من معلمه شمس ، فيشير إليه هذا الأخيربرأسه)

(يرتفع إيقاع العزف ،مخترقا النفوس والصخور...وفق مقام الرست، التي يعد أطول المقامات الموسيقية .

بينما الأم السيدة "جنان" تتفاعل مع عزف ابنها"صنعان جميلي")..يقاطعه الأب السيد "ماهر قصب")

السيد ماهر قصب: توقف بني...أستطيع أن أجلب اليك أمهر العازفين،إلى جانب معرفتي، بأصول التخت الموسيقي وجديده.. بعيدا عن سودوية هذا المشعوذ ، الذي لايحسن إلا المقامات التقليدية.

يتوقف صنعان جميلي على العزف، بعد أن أبدع وأبهر، على رذاذ

بكاء والدته ،(وتواجد) معلمه شمس .

المعلم شمس : ياله من سفر..فيه ما فيه .

صنعان جميلي: بعضا من أسفارك،أيها المعلم الملهم ....

ربما لوكنت أعزف على الناي المسبع ، لكان أطوع على السفر.

المعلم شمس: كل النايات لها أصل واحد ،أي التراب ، فقط هذا يسمى الناي الحسيني ، وذاك المنصور،عندنا القصبةأو مزمار الحب ،عند الأغريق.

السيد ماهر قصب : هيا ...هيا...ابني، يجب أن نعود إلى البيت...الشمس تنحدر على التلال ، والمساء يلفظ أنفاسه، والغابة ستبوح بأسرارها.. هيا

صنعان جميلي : سألحق بكما، عند آخر درس مسائي .

المعلم شمس : لا عليك أيها الجميلي المحب....إصحب والديك ، علي أيضاأن أستعد لسفر الأنس، ثم أمتطي صهوة الناي .

صنعان جميلي :سألحق بكما فور الاطمئنان على معلمي ..لا تخافا علي ، كل من في الغابة يعرفه، ويستأنس به، وكعادته في كل ليلة ،يصحبني إلى تخوم بيتنا .

السيد ماهر قصب :(بانفعال وغضب)... لا يمكن أن أتركك هنا مطلقا .

السيدة جنان :كل مساء يعود مثلما يقول بصحبة معلمه شمس، ولم يحصل ما يدفعنا إلى الخوف ..صحيح أن قلبي ، تمزقه سهام الانتظار،وحراب الخوف.. لكن لايسع هذا القلب إلاأن يكون معه، فيما يحب ويكره

دعه ياعزيزي ،إنهاأقدارنا وأقداره.

السيد ما هر قصب:لست موافقا عما يجرى،لأن هذا المشعوذ قد سحر ابنك..وأنت تجاملينه.. بل تجدين لذلك كامل الأعذار.

حسنا .. سننصرف ، ونحن في انتظارك.. لا تتأخر.. هل سمعت ؟

صنعان جميلي : بكل تأكيد، شكرا ياوالدي العزيزين ..

(يغادران الكهف الجبلي، والمعلم مسترسل في عزفه بينما "صنعان جميلي" يصاحبه عزفا على نايه)

المشهد الثالث

يتوقف المعلم شمسا عن العزف ، متوجها إلى صنعان جميلي)

المعلم شمس : لماذا لم تصحبهما ؟....إنما خوفهما عليك فطري .. لاتنازع مفطورا على فطرته .

صنعان جميلي: ولكنك لم تحدثني عن سفري إلى الأقاليم الكبرى..

ربما هذا الذي استدعى مكوثي ،وتأخير عودتي إلى البيت .

المعلم شمس : حتى تكون مستعدا للسفر ،عليك أولا أن تغسل قلبك ، من الأغيار،وكل ما يكدره.

صنعان جميلي : وكيف أغسله ؟

المعلم شمس : استمع ..(وأخذ الناي وبدأ في العزف) ..(تدفقت الأنغام الشجية ، من فتحات المسبع ،كأنهار صافية والأنامل سابحة في لجين المقام) بينما صنعنان جميلي..(يتفاعل اهتزازا وميلانا)

صنعان جميلي: (بعد أن أنهى المعلم ،وصلته الشجية).. سافرت بي أيها"المعلم شمس" في كون فسيح خالٍ من الألم، مفمع بالحب .

المعلم شمس: هكذا بعض أسفار أرواحنا حين تنفلت من سجن الجسد.

صنعان جميلي:هل لك يامعلمي، أن تخبرني عن الأنهارالكبرى، أو الأقاليم الكبرى.؟

المعلم شمس : مافائدة الإخبار؟إن لم تذق معرفتها ، ولا تحدث المعرفة إلا بالسفر العروجي.

صنعان جميلي :أنت تعرف يا معلمي مدى تأثري بك..أنت ملهمي .. ولايمكنني إلا أن أمتثل لما تريده لي من براعة في عزف الناي، وتصفية لنفسي من الأكدار..لكن رعونتي تدفعني إلى السؤال ،وتفكيك رموز الكون .

المعلم شمس : لن أتركك وحيدا في سفرك،سأصحبك معي إلى الأقاليم الكبرى.

صنعان جميلي : (وعليه مسحة من الابتهاج)..حقا معلمي..ذلك ما كنت أتمنى، وما كنت أريد.. سنسافر معا وستعلمي صحبتك كثيرا...

المعلم شمس: هيا اترك نفسك وتعال .

صنعنان جميلي: وكيف أترك نفسي؟

المعلم شمس : دع غرورك وحظوظك ،واعتدادك بنفسك ،واخرج خفيفا ، كي تجيد التحليق بقلبك .

صنعان جميلي: (مستغربا)...ليس لي مما ذكرت يامعلمي .. فقط كنت ولا أزال أتمنى أن أصبح عازف ناي بارع مثلك.

المعلم شمس: تلك هي حظوظ النفس ،والعجب والظهور..

فجرا سنرحل وسنستقل مراكب قلوبنا ..

صنعان جميلي : كيف أستقل مركب القلب ؟

المعلم شمس: عند الفجر سترى ..هيا اعزف وصلة في ذكركم لا تفتر الأنفاس.

صنعان جميلي: على أي مقام معلمي والناي يحتاج إلى تعاون ..

المعلم شمس: في ذكرهم تطيب وترتقي المقامات،وتتلاقى وتتدفق اللوعة وتنهمر الأشواق.

صنعان جميلي : (يأخذ الناي ويبدأ في العزف ، بينما يرافقه المعلم شمسا على الناي الحسيني)

يسترسلان في العزف ، ويصلان إلى لحظة الاصطلام.

يتواجد المعلم شمسًا، فيزداد بهاء ، بينما يخف الإيقاع ثم يتماهى ، مع النبضات والزفرات، والعبرات ..حتى إذا أطل الفجر (حل الحضور). عندهاأشار المعلم شمسا لصنعان جميلي أن يحمل نا يه ، ويستعد للسفر).

المعلم شمس: حانت مغادرة الكهف الجبلي ..وخرجا بين حلم ويقظة ،وظلمة، وضوء.. يتلمسان صمت الغابة الموحشة ...لا تسمع إلا وقع الخطى ..وزفرات وتأوهات تتقاطع مع زئير وعواء.. لكن تصاعد عزف الناي المبلل بالشجن،يخترق الضباب الذي بدا يتآكل، بفعل تسلل أشعة الشمس.

*****

الفصل الثاني

المشهد الأول

(يصل "صنعان جميلي: صحبته معلمه" شمس "إلى إقليم أجرد من كل نبات .. موحشة صخوره ،حادة سوداء من فرط لفح الشمس الحارقة.

في الوقت الذي ترتفع الشمس ،و يتضح قفر المكان ، به كثير من الهوام والزواحف التي بدأت تخرج من جحورها ..

شعر "صنعان" جميلي بخوف ورعب، وهو يمسح بعينيه تلك المناظر الغرائبية..)

صنعان جميلي : (في رعب).. ياإلهي، ما أوحش هذا المكان، أيها المعلم لايمكن أن نظل هنا ، أحس أن ثقلا يكتم على أنفاسي.

هل تشعر بذلك؟

المعلم شمس : (مطمئنا) .. لا لا، لقد وصلنا إلى إقليم الطلب ، أو التخلي .

حيث تغتسل بماء الوحشة، والتعب، والألم، بعدما تطرح كل شيء .

صنعان جميلي : (وجلا).. يجب أن نغادر هذا الإقليم،قبل أن ينالنا مكروه .

المعلم شمس : عليك أن تتخلى عن كل شيء ،حتى لا يبق منك شيء ..

صنعان جميلي: أريد ماء ،استبد بي العطش.

المعلم شمس :المكان فسيح ،كما ترى ، وبإمكانك أن تبحث عنه.

(يبحث "صنعان جميلي عن الماء ، في كل الاتجاهات)

صنعان جميلي : والعرق يتصبب من جبينه، وقد نال منه التعب ..لا أثر للماء، يا إلهي سأموت عطشا .

المعلم شمس :أعزف، ودع أنفاسك، تلتقي مع أعماق القصب.. عندها يلتقي الماء بالماء ،والأنامل بالهباء.

صنعان جميلي: (وقد بدأ عليه الانهيار وبكلمات متقطعة): كيف لي يا معلمي أن أطيق العزف ؟

المعلم شمس : خلص روحك السجينة ، لتقوى على جسد الطين ،لأنه . لا يعيش إلابالثلاثة، الماء والطعام والهواء .

(يحاول المعلم شمسا"أن يساعده ، بوضع فتحةالناي الكبرى بين شفتيه الذابلتين ، لكن الناي يسقط ..يعاود "المعلم شمسا"الكرة مرة ثانية ..بإرهاق وتعب شديدين، يسحب "صنعان جميلي" فوهة القصب، وتندفع الأنفاس المتقطعة ، بعد أن يطمئن على ثبات الناي بين شفتيه)

المعلم شمس: ستقوى على الألم،كلما نفخت فيه،إملأ الفراغ من روحك .

(صنعان جميلي .. وبمصاحبة من المعلم شمس، يستوى على مدرج الإيقاع ، بعدما كان تائها ،بسبب غلبة العطش والتعب الجسديين،يسترسل في العزف، والشمس الحارقة تمد لهيبها في كل شبر من هذا الإقليم المقفر الموحش)

في الوقت الذي بدأ المعلم شمسا"يجمع بعض الأعواد اليابسة المتناثرة هنا وهناك قرب جذع وحيد يابس منغرس في الأرض، على هيئة هلال ،ربما يتخذه مسندا

لبناء كوخ صغير ، بعدما شاهد "صنعان جميلي" بدأ يترنح من شدة الإعياء،ولظى الهاجرة.

يسقط "صنعان جميلي"ويسقط الناي مضرجا بصمته، يهرع إليه شمس، محاولا سحبه إلى مجموعة أعواد الحطب المكومة .

ينجح في سحبه إلى مقربة من الكوخ ،المشكل من الحطب اليابس، يسحب رأسه داخل الظل القليل،المنفلت من دائرة القيظ المترامية..

المعلم شمس :يتناول الناي المسبع، ويبدأ في العزف ،غير مكترث بالحر الشديد، في حين يستفيق "صنعان جميلي " ثم يعود إلى غيبوبته ، يتمتم تارة ، ويهذي تارة أخرى ...والمعلم شمس يواصل العزف بكل براعة ومتعة ..

(يفتح "صنعان جميلي" عينيه ببطء شديد ،كأنه يستعيد وعيه، وروحه ، يتمتم .ثم يفصح قليلا) صنعان جميلي : من أنا..؟ ومن أنت..؟

المعلم شمس :(وقد توقف عن العزف ..مجيبا .).... لاشيء.أنت"صنعان جميلي "المسافر على متن قلبك في فلوات وبساتين التجلي ..الحبيب والمحبوب .. الجمال المتجلي ، المحجوب ببشريته ، عن كليته .

صنعان جميلي: (بحشرجة عسيرة)... ماء. ماء

المعلم شمس : الظاهر ، يحتاج إلى ماء صبر ،أما الباطن، يحتاج إلى العطش الدائم ليرتوي..سأبحث .. بين هذه الصخور السوداء ، عن فضلة ماء ...

المشهد الثاني

ينهمك في حفر التراب بين الصخرتين، يستعمل نايه في الحفر،يقول المعلم شمسا : أيها الناي عد إلى أصلك، وابحث عن حضنك ، لعل بقية من ماء رحمك، سكنت الثرى..(حتى يصل إلى الثرى الندي،يأخذ بعضا منه على كفيه ،ويتجه صوب الكوخ الصغير، حيث "صنعان جميلي"، يضع قبضة من التراب الندي، على شفتيه اليابستين)

المعلم شمس : إنك تعبرامتحانات إقليم التخلي ، يلزمك الجد، وأن ترضى فيما أنت جالس فيه ، يجب أن تتخلى عن كل العلوم ، بل تهدمها لتبني على أنقاضها معرفة الحقيقة .

صنعان جميلي:والعزف على الناي ..

المعلم شمس : ماعرفته عن الناي ، وستعرفه، لا يلتقيان .

صنعان جميلي: الجوع يقطع أمعائي.

المعلم شمس :كلما آثرته، كلما نقلت روحك، من طور إلى طور ، حتى تصل إلى المعرفة، وإطعام البدن بما يكفي علته كي يقوى ، على حملنا فقط، فكلما قل شرهه للطعام، كلما كان أهلا للصفاء والإلهام .....سنجمع بعض الأوراق اليابسة ،إنها سهلة الهضم ، تفي بالغرض .

صنعان جميلي : ماذا سنأكل..الأوراق اليابسة ؟ ماهذا السفر يامعلمي؟إنك تثير مخاوفي ، بل صار كلام أبي ماثلا أمام عيني،أكثر من أي وقت آخر،إني شارف على الهلاك لا محالة ...لكن ما يحيرني أنك لم تشك من عطش ولا جوع .

وهذا ما يجعلني أشك أن لك مورد طعام ،وسقيا شراب ، لا أعرف مصدرهما .

المعلم شمس : هل تريد أن تسمع وصلة عزف على الناي المسبع؟

صنعان جميلي : أريد طعاما وماء ،لا أريد عزفا ،أريد العودة ، ليس لي قدرة على استكمال السفر .

المعلم شمس : ألم أقل لك إنك لن تستطيع أن تتحمل وعثاء السفر، ولا مرارة الهجر؟.. وإن نفسك ستخذلك ..

إن شئت عدت ..أما أناسأكمل السفر.. وفجرا سأرحل إلى إقليم العشق ، بعدما تخليت عن كلي وبقيت به.

صنعان جميلي: إقليم العشق لاشك أن فيه الطعام الوافر ، والجمال الباهر الرائق، والشراب السائغ .

المعلم شمس : ليس فيه إلا اللهب، الذي يقطع أكباد العشاق .

صنعان جميلي : هل العشاق يستمتعون ؟

المعلم شمس : يستمتعون بذكر،وأنس حبيبهم..

المشهد الثالث

(يأخذ"المعلم شمسا "الناي المسبع،يبدأ العزف الشجي ، بينما يهم "صنعان جميلي " بالعودة ،و بينما هو يخطو بضع خطوات ،يتراءى له"المعلم شمسا"مستغرقا في عزفه ، غير مكترث)

صنعان جميلي (وهو يخطو مغادرا إقليم الطلب أو التخلي ..(تنتابه نوبة من البكاء).. على وقع الأنغام العابرة للروح المتدفقة من نبع صاف ...يعز عليه فراق معلمه "الملهم "، فيستدير نحوه ،ويعود إليه، بينما يواصل "المعلم شمسا " العزف.

صنعان جميلي : لم أستطع فراقك معلمي ، لا يمكنني أن أتخلى عن السفر ، بينما علي أن أتخلى عن غيرتي.

المعلم شمس: (بعدما أنهى العزف على الناي)... سننطلق معا إلى إقليم العشق ، خذ الناي الذي فارقته، واستعد بكليتك لا ببعضك .

صنعان جميلي: (وقد ارتسمت على محياه ، مسحة من الفرح الممزوج بالخوف) .. بكل تأكيد معلمي، هيا بنا

ننطلق(والشمس قرص لاهب، تنحدر بدلال على سفوح الإقليم، وقد بدأت نسيج ظلال الغروب تفترش الأرض الجرداء)

(يستعين المعلم شمسا بعود من الأغصان اليابسة على شكل عصا، بينما يسير خلفه "صنعان جميلي" ولا تسمع إلى وقع أقدامهما، على التضاريس الصخرية الجدباء، في حين بدأ الظلام يطبق فكيه، شيئا فشيئا على اليابس...لولا أن ضوء القمر بدأ يفتح الرؤية،فيحيل العتوم إلى منارات مضيئة مما يسهل السير والإبصار المعلم شمسا (يلتفت قليلا إلى"صنعان جميلي")... هيا اصحب الناي ، واعزف وصلة السير إلى إقليم العشق،لا تظنه بعيدا عن إقليم التخلي،هما متجاوران.

(يبدأ صنعان في العزف على نايه)

يتضح إقليم العشق،على ضوء القمر بأشجاره ذات الأغصان اليابسة،المحفوفة بالسواد، وأثر الينابيع الجافة تعكسها خشخشات الأوراق المتساقطة في الممرات،والمغاور، والشعاب .

صنعان جميلي : يتعجب من المناظر، التي تمر أمام عينيه ، (بعدما كف عن العزف)، يا إلهي .. بقدر ما ابتهجت واستحسنت هذا الإقليم،على ما مر بي في إقليم التخلي ، بقدر ما أنا متعجب ، من أثر الخريف ، ونحن لسنا في فصله.

المعلم شمس : هيا بنا ..إلى مقطع ينابيع العشق ، لعلك تمنح قطرة ، قبل موعد إقبال الطيور...

(يتجهان صوب الينابيع ، الجافة تقريبا حيث بقية من ماء ، تتقاسمها الطيور ، والحشرات، والزواحف)..

صنعان جميلي : ماهذا الماء؟ .كيف يمكننا أن نشرب من هذا ، رغم أني في حاجة ماسة إلى قطرة من آسنه ؟

("المعلم شمس" وهو يكرع منه)....ليس اضطرارا، ولكن اختيارا ، وكسرا للنفس، من العجب ، وليس هتكا وإخبارا.

صنعان جميلي:وهو يشرب منه يامعلمي،اضطرارا،وليس اختيارا...وإجبارا،وليس انكسارا.

المعلم شمس ياحزني عليك ، لم تتخل عن رعوناتك ... إذا لم يطهرك إقليم العشق ،ستعود إلى نقطة البداية .

هيا بنا نجمع القليل من الحطب ،فالليل بارد ،وسنتحلق حول الشعلة (ينهمكان في جمع الحطب ثم يخرج "المعلم شمسا "من حزام وسطه،حجارتين ليحصل على شرارة الاشتعال ، يحاول عدة مرات، حتى تم إشعال كومة الحطب.

*****

الفصل الثالث

المشهد الأول

(يقذف "المعلم شمسا "الحطب المتبقى في أتون النار المشتعلة ، ويجلس أمامها مطلا على إقليم العشق ، ويشير إلى"صنعان جميلي"أن يجلس بجانبه ، وعلى ارتفاع الضرام ، يضاء المكان)

المعلم شمس : يجب على العاشق أن يكون ملتهب القلب، كهذه الشعلة (وهو يشير بيده إلى النار المضرمة) فكلما خف ضرام اللهب في الشعلة ، عليك أن تضيف الحطب ليستمر الاحتراق ،تماما كقلب العاشق كلما خف لهيب العشق... عليه أن يؤجج الاحتراق، بحطب الشوق، والخلوة، والسهر .

صنعان جميلي : أيها المعلم ..ألا يمكن أن يفكر العاشق، في عاقبة ذلك .

المعلم شمس : لا.. عليه أن يكون مبحرا في لهيب العشق ،ولا يسأل عن نجاته.

صنعان جميلي : هل يستوي عنده الاحتراق، والسلامة ؟

المعلم شمس : إذا آثر العاشق السلامة على الاحتراق، كان مدعي عشق ، وسيعود إلى إقليم التخلى ، دون أن ينعم بالسفر إلى إقليم العشق.

صنعان جميلي : ولكن الخير، في إيثار السلامة يامعلمي ..

المعلم شمس : الخير والشر، متساويان في طريق العاشق،وإذا تمكن منه العشق وفني في معشوقه ، فلا يصبح لوجودهما سببا.

صنعان جميلي : لكن يبدو أن نار العشق محرقة، ومؤلمة .

المعلم شمس : حينما يحترق العاشق كليا ،يتخلص من كل الآلام،والهموم .

صنعان جميلي : أليس العشق فرعا من وجودنا ؟ ؟المعلم شمس (بانفعال) : بل العشق أصل الوجود ، وهو ضرورة لكل حر .

(يدور سرب من الفراش بمختلف الأشكال،والألوان،على شعلة النار المضرمة)

المعلم شمس :(مشيرا إلى صنعان جميلي)... أيها المريد ، لنشارك هذه المخلوقات الجميلة العاشقة ، رقصاتها المفعمة بالأشواق، قبل احتراقها عشقا..صنعان جميلي: فعلا ...لاشك أن الفراشات تحب الضوء، والنار.. المعلم شمس: تماما كالعاشق الذي ينجذب إلى نار العشق مستمتعا ،حتى يستغرق كليته، في معشوقه ويحترق..خذ الناي، وسنصاحب تلك الفراشات العاشقة إلى مصيرها .

(يأخذ"المعلم شمسا" الناي، ويصحبه "صنعان جميلي "عزفا على نايه ، تتدفق الأنغام الشجية ، والفراشات تتراقصن على موقد النار.

جذلى ... وفي كامل زينتهن، يسقطن في اللهب)

(يرتفع الإيقاع، وتنوح النايات ، وتحترق الأكباد ... وإقليم العشق بين لفوح نار العشق،وحنين الناي، واحتراق الفراشات)

المعلم شمس : (بعد أن أنهى معزوفته ،بإحساس عاشق ، يشير إلى مريده أن يسدل وصلته)..... نعم إنها نار العشق المتؤججة .

المشهد الثاني

صنعان جميلي: هل دورة العشق كدورة حياة الفراشة ؟

المعلم شمس: نعم من الولادة الجسدية،إلى الولادة الروحية .

صنعان جميلي : كلما شربت من نبع صحبتك، ازددت عطشا .

(يمتطي "المعلم شمسا "نايه ويبدأ في العزف ، بينما يداهم النعاس جفون"صنعان جميلي" ... يقاومه .. ثم يستسلم للنوم)

(بينما يواصل " المعلم شمسا " الإبحار،في أعماق الغربة الإنسانية عزفا على الناي، واحتراقا ، في أتون العشق المقدس.

والليل سفر الأرواح، والخلجات، على صهوة الآهات، والزفرات الحارة الملتهبة)

(تنقضي الساعات ،ويستعد الظلام للرحيل ، بينما ينبثق الضوء على إيقاع الناي، ورماد الأحطاب المحترقة .)...

"صنعان جميلي" يقوم من نومه مفزوعا... يمسك بجبة معلمه شمسا، وهو يهذي .. يتوقف المعلم شمسا عن العزف .

المعلم شمس : نم .. قد يكون سفر حلم عابر ، عد إلى نومك ،قبل انبلاج الفجر.

صنعان جميلي : (وهو يستعيد أنفاسه المشظاة ببطء)...لا يامعلمي،إنها رحلة روح ممزقة ، تبحث عن خلاصها .

رأيت مثلما يرى المستيقظ،إنك أمرتني يامعلمي أن أقطع حجا ب الوحدة وأسلك واد الأنس، وألحت علي في قطعه ، وبينما أسير بمحاذاة نهر ما رأيت مثله في

الصفاء والجمال ، حتى جذبتي رائحة عطر ، ما توضعت عبيرها قط ..فاتجهت صوبها، فإذا بفتاة لا أستطيع وصفها بما أوتيت من كل شيء حتى الطيور ، على اختلاف أشكالها وألوانها تغني لها ،وتتبعها الأيائل ،والطواويس .

لم تكلمني بعد أن أقبلت..مناديا، فبادلتني بصمت ،ترق له الصخور ...وقفلت عائدا بوافر حسرتي....

المعلم شمس :

أما أنت أقبلت وعليك رعونتك ، حتى لفظك صمتها .

صنعان جميلي :عجبا.. هو ما قاله لي الشيخ ، الذي صادفته في عودتي .

المعلم شمس: كان عليك أن لا تتقدم ، حتى تطلب المقام ، وتبسط لك الحال.

صنعان جميلي :

هو كذلك ماقال ، وطلب مني العودة ثانية إليها، بذل وانكسار .

عدت بروحي ،أقتفي أثر النور، الذي عبر شغاف قلبي.....حتما سلكت نفس الطريق ، حتى تغير أكمها،ووعور تضاريسها، وكم عانت من العلل والفشل، والبلاء،والكسل، وبهت غزلي بين الغزل، وصادفني رهط من المرتزقة قال أحدهم:

هذا بهلول لايصلح إلا لرعي الشياه، وحياكة الصوف وطمر الحشف.

وقال آخر: سآخذه قد تستعين به زوجتي ،على الكنس والغسيل .

وقال آخرغشيم : لايصلح إلا للهز، والتقبيل .

وقال هائم مبتلى : دعوه في الفلاة، يمضغه الردى.

وقال كبيرهم : يباع للسلطان، فهو أدرى بالغلما ن .

(ولما حزموا أمرهم على أمر كبيرهم ... وساروا بي مقيدا ، تجرني فرس حرون، و وخط ثلم دمي، سكون الرمل .. تهادى الليل ،بعد انسدال المساءوطوى الأنين صروف الطوى، وغبت بين مفارق ومفاوق...حتى أقبل في بهيم الحلكة.. الهائم المبتلى .. يتفقد ظاهر الخيل، وباطن قلبه ... همس في أذني ... وأنا ملقى بين حوافر الفرس، والقوس والمتراس والعسس

قال :قم .. طريقك ليست من هنا ... هم ..على وجهك .. واختفي بين المغاور والشعاب ،حتى تلمح وجهك في التراب

وفعلت ما أمر، حتى تناثر الخوف سريعا ،وكركرت ماتبقى من جهدي ، حين أدركتأن الرياح قد محت كل أثر.

فلما دنوت من رياضها ،سطع برق لحظها ، بين الكروم ، واقتادني شوقي إلى محراب جمالها ، فمحوت أثري.. من الأغيار. والرسوم.)

المعلم شمس : هل بقيت أنت؟

صنعان جميلي : ذويت من نسائم الوصال.حتى اصفر الوجه ،وهام النبض من سطوة الجمال... ولم أدرأية خيمة بين الخيام ،عبرت حتى استفقت من المنام .

المعلم شمس: الآن طاب السفر إلى إقليم المعرفة.

صنعان جميلي: تمنيت أن أبقى هنا في إقليم العشق ،أتقلب بين هاجرة يومه ،ولهيب ليله ، وما علي من دثار الأمس،إلا أسمال النحابة ، وقماط الولادة ....إن شغافات العشاق المحترقة، وهدير زفراتهم ،ولمعان عبراتهم ، وهي تجري في سواقي الانتشاء، تجعلني غير مكترث للحاجة ، ولا لمطالب الرتابة .

المعلم شمس:إن أغلب من وطئت ثراه ، تملكته تباريح الجوى ، وغاب بين أكباد العاشقين المحترقة يسألان تدوم اللظى .

هيا بنا نرحل قبل أن يذهب اللب، من وطيس ما يرى.. حين تنهال عليه الوضيئتان، نور الجمال، ونارالشوق ..طلبا للوصال .

غرد بالناي وشعشع روحك،من كرمة البدء..فإقليم العشق أصل،تحلق نسائمه في كل المجرات ،والأرواح والأكوان.

*****

المشهد الثالث

(يبدأ "المعلم شمسا" في العزف على الناي، ويصحبه "صنعان جميلي" على نايه...وهما يعبران إقليم العشق، حيث تمتزج آهات، وزفرات العاشقين ،بوقع أقدامهما، وشلالات الأنغام الصادحة، من فوهات القصب .

بعد طول سفر، على متن قارب الروح، يقترب"المعلم شمسا " وتلميذه "صنعان جميلي" من إقليم المعرفة ، يذهلان عن العزف ،ويتملكهما خوف ، ورهبة .

المعلم شمس : هذا إقليم المعرفة، وهو أحدالأقاليم الكبرى ،التي ينتهي إليها السفر الأول، لكنه أصل كل الأقاليم.

وهو ممتد على كل قلب، وبصر، ليس له حدود... لابداية له ولا نهاية ...

(ينتهي بهما السير عند شجرة وارفة الظلال ، منعزلة عن باقي الشجر، بجانبها صخرة تحتها ما يشبه المغارة فتحتها مطلة على امتدادات الإقليم الأخضر.. يجلس المعلم شمسا عند مدخل المغارة ،في حين يعتلي صنعان جميلي الصخرة)

صنعان جميلي: كأنها جنة الجنان ..كثيفة الشجر. لمن عبر. تحفها الأزهار.. وتحيط بمعصمها الأنهار..فلا هي وسعت العبارة والوصف ، ولا هي أسرجت التأويل.. والمجاز..

المعلم شمس : تعرى من شكوكك ونعوتك ، وليكن يقينك إيقانا، وعين يقينك ، حق اليقين.

صنعان جميلي :أيها المعلم هل المعرفة ،هنا تكتسب أم توهب ؟

المعلم شمس : تكسب بعزمك ،وتوهب بصدقك وإخلاص محبتك.

صنعان جميلي : وما وسيلتها؟

المعلم شمس: الذوق...وهو طريق المعرفة التي هي أخص من العلم، ومحلها القلب .

صنعان جميلي : ومن لم يذق، أو سقم ذوقه ،وأقبل قلبه .

المعلم شمس : إقبال القلب على المعرفة هي ثمرة ذوق سليم ، لان الذي سقم ذوقه ، اعتل قلبه . لكن الإقبال من القلب سيجلب الذوق لامحالة.

صنعان جميلي : (مستغربا) ..وما كرامة القلب يامعلمي ؟

المعلم شمس: التصديق يابني....

صنعان جميلي: لكن العلم أولى من التصديق ، اعذرني معلمي.

المعلم شمس :ماذا تعلمت إلى حد عمرك الآن ؟

صنعان جميلي : العزف والنحو والخطابة والحساب وبعض علوم الطب

المعلم شمسا : أنا لا أعرف شيئا مما ذكرت .

صنعان جميلي : عذرا معلمي لم أقصد .

المعلم شمس : أعرف أنك لم تقصد ، ماذا لو ركبنا سفينة في مجموعة من المسافرين؟

ولما استوت على البحر ، وطالت الرحلة .. قام الملاح خطيبا .

صنعان جميلي : يحدث مثل هذا.. وهو أمر رائع إن كان له داع .. وما في ذلك؟

المعلم شمس : لكنه يلحن بشكل واضح ..عن ماذا تسأله؟

صنعان جميلي : عن النحو وعلوم اللغة

المعلم شمس : وإن قال لا أعرف .....ماذا تفعل؟

صنعان جميلي : سأحاول أن لا أسمع،أو أتظاهر بالسماع .

المعلم شمس :وماذا كنت تخفي ، وتقول في قرارة نفسك ؟

صنعان جميلي : أقول ماذا أضاع من عمره ؟

المعلم شمس : هب أن ريحا عاتية ،هبت في تلك اللحظة، وأضحت السفينة تصارع ثباتها ،وقد بات الخطر داهما ، فالتفت إليك الملاح نفسه ،الذي كان يخطب وسألك إن كنت تجيد السباحة ، لتنجو؟؟

صنعان جميلي : مترددا .. ربما أجيبب الإيجاب،أو بالسلب

المعلم شمسك :وما الحقيقة بينهما ؟

صنعان جميلي : لا أجيد السباحة ،وأطلب منه مساعدتي .

المعلم شمس :

وماذا يكون جواب الملاح الخطيب ،الذي هزئت من لحن لسانه؟

صنعان جميلي: لا أعلم

المعلم شمس : سيكون جوابه ردا على ما أخفيت قوله .... ماذا أضاع هذا العالم من عمره؟

صنعان جميلي: إيه نعم... وإلى أين تصل بي المعرفة ؟

المعلم شمس: المقام هنا المحو، وليس النحو....فكلما محوت عرفت ، وكلما عرفت، سبحت في اليم دون خوف .

صنعان جميلي: الآن أدركت يامعلمي... الفرق بين العلم والمعرفة .

المعلم شمس : ما أعمق بحر المعرفة لأننا على سواحل إقليمها فقط ، لذلك مقامنا هنا يطول قبل أن نبحر .

هيا ناولني الناي ،واصحبني عزفا على الناي الذي هو متاعك..لأن العطش للمعرفة دائم ، وماء الحقيقة عميق الغور،وليردد قلبك هل من مزيد ؟فإذا لم تكن من أهل العرفان فعزي نفسك ..وإن تحرم من الجمال فما عرفت حدائق الوصال

*****

انتهى .

رعشة الرماد .. أوالحبال المتشابكة

شخصيات المسرحية

- غفلان
- فوران
- اللص المطارد
- التنكري المداهم

***

الفصل الأول

المشهد الأول

المنظر العام

أمام محطة مهجورة لم يبق منها إلا مظلة وجدار ، يتراءى هناك رجل متوسط القامة ، مفلطح الرأس يرتدي معطفا جلديا، وسروالا أحمر،وحذاء بكعب عالٍ يدعى "غفلان" يلتفت يمينا وشمالا ،كأنه ينتظر أحدا.

يتمتم ، يفرك أصابعه ...في حركة لا تهدأ.

غفلان : (واقفا متوترا تحت مظلة المحطة المهجورة) .. أين هو...؟... لم يأت تأخر كثيرا.. ليس كعادته. ربما اعترضه طارئ ،قد يكون عالقا في زحمة السير، لا.. لا... هو لا يحب إلا أطراف المدينة، كما حدثني (وشحان السلطي)، كان يقول له.. ابتعد عن المركز ما استطعت ، المركز قاع عميق. ليس له نهاية، يبتلع كل شيء، سر محاذيا ،الأطراف كي تنجو.

(مسترسلا) .. آه تأخر كثيرا... الشمس تغرب والوقت يمضي بسرعة عجيبة ، لماذا تأخر؟.. ليس بوسعي أن أتحمل الانتظار ، لكن ما عساي أن أفعل ، سأنتظره مهما كلف ذلك من شد عصبي، وصداع بدأ ينخر جمجمتي كمثقاب حديدي .

((يأتي رجل قادم من جهة ثانية يحث الخطى يلتفت يمينا وشمالا، وهو ليس الرجل الذي ينتظره ،يرتدي بدلة رسمية وحذاء رياضي ،وعلى رأسه قبعة مستطيلة يدعى: (فروان)

غفلان : (يبادره قائلا) : تأخرت كثيرا ، ساعات طوال وأنا أنتظر قدومك ،لعل مشاغل أخرت قدومك ..بالتأكيد هي لا تنتهي .

فوران :هل عرفتني ؟

غفلان :لا يهم ، المهم أني أنتظرك بكل أحاسيسي المنفلتة من قيود الحسرة والألم..

ومن يأتـي إلى هذه المحطة المهجورة ،غير أصحاب المواعيد السرية ومن على هامش الحياة ،لا يمكن أن تجدني في فندق فخم ،أو عشاء راقص .

((مشدودا إليه وهو يمسك به يحملق به)) قائلا:

غفلان: لست في حاجة لكي أعرفك بنفسي ، أنت تعرف عني كل شيء حتى أزرار معطفي..

فوران (مبادرا) :أنت الذي أبحث عنه ، إنها مصادفة غريبة (ثم يدخل في نوبة هستيرية من الضحك)

غفلان:من حقك أن تسترسل في الضحك ، أتذكر أني فقدت الاستمتاع به منذ أن كنت طفلا ، ألم يخبرك (وشحان السلطي).. أني أنتظرك في هذه المحطة المهجورة.

فوران : إذن أنت هو، أنت تملك الجرأة، أكثر مما توقعت ....لم أشك لحظة في أن الحظ أخيرا سيبتسم لي ..آه هلت تباشير الفرح علي في هذا المكان؟...ويخرج الجريدة من معطفه..ينظر إلى الصورة،ويحملق فيها،ثم يصوب نظره..نحو (غفلان) إنه هو، مطابق للصورة، المنشورة في الجريدة ،من طرف عصابة الأيدي البيضاء .. آه ما أقرب المكافأة، وأبعد الأيام البائسة اللعينة.

(يقترب منه، يحاول أن يتفحص أذنيه ومنخاريه ثم ينظر إلى صورة المتواجد ة في إحدى صفحات الجريدة)

فوران : آه لولا منخاريه العريضتين ،وأذنيه الطويلتين ،لكان التطابق بينه وبين الصورة المنشورة في الجريدة تاما ..ربما الغروب ونقص النظر أثرا علي ..

غفلان: (يقاطعه)..جربني ولن تندم ،سأكون لكم خادما مطيعا ..القرب منكم حصانة من الفاقة والعوز ..وحماية من ظلم العصابات المنظمة والفوضوية .

(يتلقط فوران كلمة العصابات) يقوم مسرعا، يمسك برقبته.

فوران : بالتأكيد أنت اللص الفار من عصابة الأيدي البيضاء.

غفلان : ألم يكلمك عني؟... أنا أجيد الرقص على مواقد النار ..كنت مهرجا أنتقل بين جبهات القتال ،أقدم عروضي البهلوانية أمام الجنود الذين سئموا طول الحرب ،ومأساتها.

كانوا ينتظرون ساعة العرض بشغف كبير .كانوا يقهقهون ، ويرشقونني بكلماتهم حتى أن احد قادتهم أخذ رشاشه وقال : توقف أيها الحاوي ،سأفرغ في صدرك، مخزن هذ الرشاش ..لم أكترث، وواصلت العرض، كطائر الفنيق ..لأن صدري أقوى من الرصاص ..

فوران: لا تحاول أن تراوغني، أنت الذي أبحث عنه ،ثم ينظر إلى الجريدة متسائلا؟ألست اللص الفار؟ ..

غفلان:(واجما):يا للغرابة أنسيتني؟ وتنكرت لصداقتي، أتتذكر أنك واعدتني على الالتقاء عند هذه المحطة المهجورة.؟

فوران: (يعاود إخراج الجريدة، ويتفحص وجه غفلان ..لا بأس لم يبق إلا تطابق المنخارين،والأذنين...آه لوينقص قليلا من أذنيه الطويلتين،ومنخاريه العريضتين،سيصبح التطابق تاما ،وأطير على جناح السحاب إلى زعيم عصابة الأيدي البيضاء، وأخبره عن مكانه، وأتسلم المكافأة.

(يقترب منه وهو ينظر ثانية إلى الجريدة)... يا للمصادفة، إنها أم اللاتوقع، تملأ فراغاتنا غير المحسوبة إطلاقا ..هه هه

غفلان : (يتوجه إليه معنفا) : يكفي أنك أبقيتني، وقتا طويلا أصارع لسعات الوحدة ، و الذباب المنتشر حول كل شيء.

فوران: يخرج الجريدة، اسكت، أنت هو بالتأكيد... (يسرع إليه غفلان وهو ينظر إلى صورة الجريدة)..لاحظ ..انظر .. هو أنت بالتأكيد، كم يشبهك ،إلا في بعض الفروقات التي لاتهم.

فوران: آه اشعر بسعادة عارمة ،جسدي تسكنه رعشات مبللة من الفرح الخافت، ها انا احلق في سموات الفرح.

البعيدة مني صارت قريبة ..المال الذي فرق بين قلبين عاد مستسلما لإرادة الحب...(مرتبا على كتفيه)

فوران: (مواصلا) أيها اللص الوديع ،ستكون سببا في عودة النبض الجميل إلى قلبين ..كانا متورمين من شدة لسعات الأنانية، والتملك والقهر .....(وهو يسمح على رأسه)

فوران: كن كحمامة زرقاء بين يدي، وأنا أحكم وثاقك ..أنت أملي الوحيد في استعادة عافية قلبي، وجنة حلمي.

بسببك سأحصل على المكافأة ،التي أصبح بها قادرا على رد كرامة قلبي الجريح،وعزة نفسي المستباحة ،هيا ..هات يديك ،لابد أن أربطهما جيدا ..لا تخف الخيط حريري، يلامس جلدك كأيدي ناعمة هيا .هيا ..(يمد غفلان وهو في حالة ذهول واستسلام ... يمد يديه وفوران يربطه)

غفلان : ماذا تفعل يا سيدي؟ أنا لا أهرب،أعطيت صاحبك وعدا أني سأظل في خدمتك، و لك أن تتصرف في كما تشاء، المهم أريد وثائق ومالا حتى أصل إلى الضفة الأخرى.

*****

المشهد الثاني

(تتداخل المواقف بين الشخصيتين)

فوران: ليكن ذلك بعدما تسلم المكافأة ،إذا بقيت على قيد الحياة طبعا. سنلتقي ولن أخذلك، ولن أنكر للجميل الذي أسديته لي، إذ أعطيتني يديك، دون تلكؤ، أو مقاومة.

(تدب مداهمة ،يتصاعد على أثرها دخان ،يغطي ردهات المكان ،لا تسمع إلا وقع الأحذية)

(يظهر بشكل غير واضح، رجل تطارده مجموعة في زي تنكري لا تسمع إلا أصوات متداخلة)..... قف : أنت محاصر.

(بينما تتواصل المداهمة) .. ينبطح فوران وغفلان أرضا ،يعتريهما خوف شديد ،وصدفة (ينبطح اللص المطارد بينهما يسلط ضوء المداهم على الثلاثة المنبطحين)

(يظهر في زي تنكري الرجل المداهم ،وهو يحمل فانوسا ضوئيا ،يسلطه في كل الاتجاهات، باحثا عن اللص)

الرجل المداهم : أين هو؟ ..أين اختبأ ؟

بينما يحاول اللص المطارد أن يبادل قبعته مع قبعة غفلان، يوجه المداهم الإنارة إلى الثلاثة المنبطحين (مسترسلا في الضحك، ثم يقطعه فجأة بصوت حاد)

الرجل المداهم : من منكم هذا الذي كنا نطارده ؟

فوران: (وهو يقوم من وضعية الانبطاح) هذا الذي كنتم تطاردونه سيدي (ويشير إلى غفلان، وهو نفسه الذي كنت بصدد تسليمه لكم (ويخرج الجريدة من معطفه،) أنظر الأوصاف هي أوصافه، هي مطابقة كما في صورة الجريدة.

التنكري المداهم : لقد كان اللص تحت مرمى أنظارنا لولا تلك الضبابة التي حجبت الرؤية.

كان يرتدي قبعة سوداء ،ذلك الوغد الذي كنت أطارده ..ومعطفا قصيرا وحذاء رياضيا.

لقد تخلى عن جهاز البحث عن المعادن أثناء المطاردة.

التنكري المداهم :هيا قوموا .. الليل لا ينتظر ،وآذان المدينة مستنفرة لسماع قرع المعدن النفيس،وكل الأعناق مشرئبة إلى بريق الذهب،لم يعد في هذه المدينة إلا حكايات المغامرين، والباحثين عن الثروة والذهب.

فوران : لا يهمني..إلا استلام المكافأة وتحقيق أحلامي المؤجلة

غفلان: أنا ايضا انتظر تجهيز الوثائق، لأحط كالنورس وراء البحار

اللص المطارد : لا أعلم ما الذي جعلني أنخرط في هذه المطاردة ،كنت بمحاذاة المقهى، إذ مر بي جمع من الناس يركضون وراء غريب.

(يقولون : أنه وجد الذهب، وجد الذهب)..لم أتمالك نفسي حتى وجدت نفسي معهم، وأثناء ذلك داهمتنا عصابة أخرى، فحاولت الانعطاف إلى شارع ضيق ،لعلي أنجو من هذه المخاطرة ، وإذا برجل يطاردني لا أسمع إلا كلمةتوقف، ولا تحاول أن تخفي الذهب ،حتى وصلت إلى هذا المكان.

التنكري المداهم : لا يهمني إلا شيء واحد ،أين خبأت الذهب؟.

فوران: أنا أيضا لا يهمني إلا استلام المكافأة ،من عصابة الأيدي البيضاء.

غفلان : لا يهمي إلا أن الوفاء بوعدك ،كما اتفقنا

*****

الفصل الثاني

المشهد الأول

(يتغير الجو فجأة، فتسمع إلا دمدمة الرعود ...عواصف، أمطار بشكل إعصار ..لا يري في هذه المحطة المهجورة، إلا البرق والعواصف .. تسمع أصوات، آه إني أغرق سيجرفني السيل .. تسقط المحطة أو متبقى منها ، لا تسمع إلا أصوات، أنقذني رجلي انكسرت، المحطة تغرق من كل الجهات .. هيا ساعدوني... يسمع صوت فوران : آه أين أنت يا صاحبي؟ (ويحاول أن يسابق الجريدة ،التي تتهادى على صفحة الماء ثم تبلعها الطمى) ..إنها بجانبك ،لا تدعها تمر، إن كل آمالي ،وأحلامي ،متعلقة على ذلك (التنكري المداهم).

أحدهم (وهو مسربل بالطمي يلفه الظلام)... أين أنت يا لص الكنوز؟

آخر : رجلاي قطعت، امسكوا بتلابيب بعضكم ،المحطة تغرق ،وقد نغرق معها جميعا .

(تستمر الصرخات، وأصوات أقرب إلى الهذيان، مع برق ورعود ،وسيول، ثم رويدا رويدا تهدأ العاصفة، مع اتضاح المكان شيئا فشيء.

تترآى المحطة من بعيد ،وقد تهدم معظمها إضافة إلى العوالق، من الأدوات،والخردوات التي جمعتها السيول.

أما الرجال الأربعة، فلا يظهر منهم إلا ثلاثة، بينما الرابع مفقود، وقد اكتسوا بالطمي، والوحل، كل واحد في جهة، ويظهر عليهم الإصابات "فوران " (يقوم متعثرا تظهر عليه الكدمات).. (في حين يصاب"غفلان" في رجله ،ويظهر أنه أصيب إصابة بالغة، لا يستطيع معها الوقوف)

(أما ا"لتنكري المداهم "فنصفه تحت الأنقاض ،لا يرى منه إلا طرفه العلوي)

غفلان : أين أنتم؟.. يا من هناك؟.. رجلي لم تعد لي ..الألم كاسح ،هل من أحد ؟

فوران : (يتجه إليه متعثرا) أين أنت؟ إني لا أراك جيدا.

(وهو متجه إليه.. يصرخ الذي نصفه تحت الأنقاض) : آه أين نصفي؟ لم أعد أبصر الأشياء، الألم يحيط بي من كل جهة، ومن ذا الذي يسمع ندائي؟

فوران : (يتجه نحوه ثم يقف في المنتصف)..بينهما ، بينما تسترسل الأصوات في الهذيان . فقدت السيطرة عن رجلي .الألم والرعب، أين أنا؟.. ما الذي حل بهذا المكان؟ دمار ،أم لعنة ، أم إعصار ،يا الله كنت أنتظر بارقة أمل، في ظلمة الدياجير،

وإذ بالعاصفة الهوجاء والإعصار المدمر، يقتلع كل شئ ،فقدت صاحبي، الذي كنت أنتظره ..وبفقده تبخرت الأحلام.

فوران : (يسمع صوتا مبحوحا لغريق) .. أين أنت؟ ..ربما لايزال على قيد الحياة.

(يتجه "فوران " نحوه والدهشة ،تعلو محياه)

فوران :الملامح تغيرت ،أين أنت؟.. لاأسمع إلا الصراخ، والأنين ، يا إلهي... الظلام الحالك ، يحجب الرؤية علي أن أجد وسيلة ،لأشعل النار .

(يسمع أنين ممزوج بالهذيان) : آه أيها ،الحلم احملني ،كما الماء ،بين يديك القويتين.

*****

المشهد الثاني

(يحاول "فوران " أن يحصل على شعلة ،من علبة كبريت مبللة ، أخرجها من جيبه ،لكن يديه المتجمدتين ،حالتا دون ذلك ،حتى افتقد العلبة بأعواد ثقابها هي الأخرى، إذ سقطت وجرفتها السيول، يبحث عنها ، فيسقط تارة ،ويقوم ويسقط ثانية ،في الوقت الذي يتصاعد أنين من الجهة المقابلة.. ("التنكري المداهم" من تحت الأنقاض وكأنه في حالة إغماء)

التنكري المداهم : (من تحت الأنقاض).. أين أنا؟ ما هذه الأثقال التي على جسدي؟ أشعر أن كومة حجر رجرجت حولي.. لم أعد قادرا على الحركة .. لم أعد أعرف المكان ... الخراب في كل جهة .

المهم أنني أتنفس، لا أعرف كيف جئت إلى هنا، وما الذي حل بي...جمجمتي ثقيلة، ومؤلمة، أحس أن دبابيس تخرمها، لكن علي أن أتذكر.

(يسمعه "فوران "فيسير اتجاه هذا الصوت ،المنبعث من الجهة الأخرى من المحطة)

فوران : هذا صوت آخر ،قد يكون أحد الأحياء ،علي أن أنقذه.

(يسمع صوت من الجهة الأخرى).. أين أنا ؟..هل من أحد ؟

يستدير نحوه ويقول: إلهي..كيف أساعدهما.؟.البسطاء، يدفعون الأثمان الباهظة دائما.

(يتجه إلى "التنكري المداهم" الذي أصبح تحت الأنقاض)

فوران : (وهو يقترب من التنكري المداهم).. هات يديك .

التنكري المداهم: (وهو تحت الأنقاض).. من أنت؟ أنأ لا أعرفك ،نصفي تحت الأنقاض، ونصفي الأخر لا يتذكر شيئا.

فوران : المهم هات يديك، ساعدنا بالصبر، أيها السيد.

التنكري المداهم : (من تحت الأنقاض) عليك أن تحترم نصفي المدفون في تراب الغياب ..

فوران : كيف أيها السيد ؟

التنكري المداهم : (من تحت الأنقاض) أنا النصف النازف ، الذي يعصر أعصابه،لحمه المتهالك.

أحس أني ثقيل على أنفاسي.

فوران : (مقاطعا).لابأس عليك ،ستنجو ساعدني، لاستخرج نصفك المدفون.

التنكري المداهم (من تحت الأنقاض ..).. ليس لي..آه..آه

يسترسل الاثنان في الأنين

التنكري المداهم :..رجلي تقرضها المقاريض ، لم أعد أحتمل .

غفلان : أريد سكينا لأقطع هذا الرجل .(ثم يدخل في الهذيان ، بقهقهة متقطعة تنم عن إعياء شديد).. هل ستعود الأرض في أجمل الفصول؟

فوران: (مسرعا) يا رجل أنت بخير ،ساعدني كي أنقذك.

غفلان: هل لديك شيء حاد ،أو سكين؟

فوران :لماذا؟

غفلان: (المصاب في رجله).. لكي أقطع رجلي الذي أصبح قطعة من الجمر..تحرق ما تبقى من جسدي.

فوران :(يسرع في كل الاتجاهات، باحثا عن ضوء ،يحاول أن يتذكر)

قبل العاصفة والإعصار)

فوران : أظن أن الرجل المداهم كان يحمل فانوسا ،علي أن أبحث عنه، صحيحا أن الطمي، والوحل، والسيول لا يمكن أن تبقي وسيلة على الأرض،لكن ليس لي حل إلا المحاولة والبحث.

(يحاول أن يبحث عنه بين الخردوات ،والأدوات، لكن بلا جدوى)

فوران :(في حالة يأس) . فقدنا الاتصال بالعالم، والظلام دامس ،والرجلان الأول عالق، والآخر مختفي، والثالث مصاب، وأنا موجوع ،ومشرد ،وجائع.

لعله الرجل الذي كان يحمل فانوسا مازال على قيد الحياة ،بإمكانه أن يدلني سأحاول أن أذكره ..(يتجه صوب الرجل المدفون نصفه)

أيها السيد عليك أن تساعدني ،كي أنقذكم ..إما كنت تحمل فانوسا صغيرا، قبل العاصفة والإعصار؟

التنكري المداهم :(من تحت الأنقاض).. ماذا تقول؟ إن نصفي مدفون ونصفي الآخر، مكبل بالألم ..

فوران: حاول أن تتذكر.

التنكري المداهم:(من تحت الأنقاض).. أنا لا أتذكر، إلا هذه الساعة وسط هذا الخراب المهول، ونصفي المدفون، والآخر الذي تقطعه كلابيب الألم.

فوران : يا رجل حاول أن تتذكر الفانوس ، كنت في هذه الجهة، أم في هذه الجهة.

التنكري المداهم:(من تحت الأنقاض) لا اعلم إن كنت أحمل فانوسا، أم تاريخا من المطاردات، والأزمات، أنت تعذبني يا رجل، ربما تمر عربات الزبالة ،أو تجود السماء بإعصار، يدفن نصفي الباقي.

*****

المشهد الثالث

فوران : (يتركه).. ويحاول أن يبحث في كل الاتجاهات، وبينما يبحث يجد قصاصة ، يحث عليها التراب ويلتقطها).. يدخل في قهقهة ...

آه تذكرت، أنها قصاصة من الجريدة، التي كانت تحمل أحلامي ..يا لغرابة الحياة ، لم يبق منها إلا هذه القطعة ،التي لا تحمل إلا مقطعا طوليا لوجه غائب، لم يعد بكل تفاصيله ...أنا الآن إمام الواقع ،لم يعد للأحلام بد... المهم أن أنقذ الرجلين، وأبحث عن المفقود .. البقاء أكبر دافع ،من كل شيء.

لم أعد ذلك الأناني الذي يبحث عن نفسه، وسط أكوام من الآدميين الذين يتقاسمون معه مرض الذات

لم لا أكون مضحيا ، وليس الضحية؟ ....

كان أجدادي يجودون بما عندهم، يؤثرون، يغيثون الطريد ،يتقاسمون طعامهم مع الطير .

الهزائم والاستبداد، تحولان الإنسان إلى وحش كاسر، أو إلى خانع، أو إلى لص ،أو إلى فارس مغيب، تحمله الريح..... علي أن أجد الضوء في هذا الظلام.

(يحاول أن يعثر على "التنكري المداهم" من تحت الأنقاض)

فوران : أيها الرجل حاول أن تتذكر، الفانوس الصغير، الذي كنت تحمله كقطعة الحلوى، أين فقدته ساعة اندلاع العاصفة،؟...التنكري المداهم: (من تحت الأنقاض) ...قد كانت المصادفة ،والمكان،ولم أتذكر يوما أني حملت فانوسا.... الظلام من كل جهة ...أين أنا ؟ فوران :(وهو ينتقل صوب الرجل المصاب رجله)... هيا ساعدني.

اتكأ على كتفي ، الفجر تلوح تباشيره ..(يمزق قميصه الداخلي ،ليربط به رجل الرجل المصاب، ويستند على كتفيه)

فوران : لابد أن نستعيد بريقا من الحياة.

التنكري المداهم المصاب : كيف والألم يقطع أوصالي؟

فوران : استند عليا يا رجل، أنا كنت مهرجا، أرقص على الحبل ، أحمل أثقال العالم، ولا أسقط

التنكري المداهم : (مصابا وهو في الطمي.. بما يشبه الهذي) من نحن؟

فوران : نحن ضحايا الأمس، وقود اليوم .

التنكري المداهم المصاب: من الذي سببه؟

فوران : استند علي جيدا.

(في الوقت الذي كانا يسيران ..يسمع صوت الأنين.. أين نحن ؟

فوران : هيا أسرع قليلا ،هناك صوت الرجل الذي تحت الأنقاض.

التنكري المداهم المصاب : لم أعد أستطيع الحركة.

فوران : لابد أن تتحامل على نفسك ،الصبر طويل، والكارثة أكبر.

(يصلان إلى الرجل تحت الأنقاض)

(يحاول أن يسند الرجل المكسورة ، على ما تبقى من حائط المحطة)

فوران :استند على هذا الحائط المتهالك ....(يستند على كتفيه وهو يعتصر ألما حتى يصل به إلى ماتبقى من حائط المحطة ،بعدما يسند ظهره ، يحول أن يزيح عنه العوالق والأتربة)

غفلان: (وهو تحت الأنقاض)..إنه نصفي.. لم أعد أحس به.

فوران : تحمل يا رجل ،ستكون فوق الأرض ،بعد عدة دقائق.

غفلان: (من تحت الأنقاض) ومتى كنا فوق الأرض ،وتحت الشمس..؟

فوران : ستكون كالغزال.

غفلان : (من تحت الأنقاض) كفى سخرية أيها الأبله ،لولا نصفي المدفون في التراب ،لحررت أمثالك.

فوران:(غير مكترث) ساعدني... رجلك الأولى قد خلصتها ،لم تبق إلا رجلك الثانية.

غفلان : الآن بدأت أحس بدبيب الحرارة فيها.

("التنكري المداهم" مستندا على ما تبقى من جدار المحطة ورجله مصابة وهو معفر بالطمي)

التنكري المداهم: تستطيع أن تكذب على نفسك بما تشاء.

فوران : الرجل الثانية مغمورة بالطمي ،هي سلمية على الأرجح.

التنكري المداهم : (مستندا على ما تبقى من الجدار الوحيد للمحطة المهجورة).. دعه غارقا في الوحل هو سبب هذه المشاكل.....

غفلان:(وهم يتألم كف عن هرائك ،أنت سبب المشاكل كلها) .. لولا مداهتك الرعناء ،وبريق الذهب الذي خطف أبصارك، لما حصل الذي حصل.

فوران : الإعصار لم يفرق بين أحد ..ساعدني يا رجل ..الرجل الثانية في طريقها إلى الانعتاق والتحرر

غفلان: من تحت الأنقاض:تمهل إني مصاب بشكل عميق ومجروح الإحساس،من رجل ينتظر "وشحان السلطي" ليجهز له أوراق الهجرة، ليجد نفسه في سلسلة من الحبال المتشابكة، إلى منكوب مقطع الأوصال.

فوران: ساعدني..إني اقتربت من إنقاذك.

التنكري المداهم : دعه إنه عالة علينا ،يا رجل ..دعه يكون فريسة للغربان.

فوران: (منهمكا في إنقاذ "غفلان" غير مكترث لما يقوله "التنكري المداهم ") حاول أن تسحب قدميك،استند علي كتفي .

غفلان : (وهو يحاول أن يخلص قدميه العالقتين ،ومستندا على كتفي فوران) آه.. لا سيطرة لي على جسدي كيف لي أن أقوم؟

فوران: ساعداني كي نمضي بعيدا ،عن هذه المحطة المنكوبة، علنا نجد من ينقذنا من الهلاك.

التنكري المداهم : كيف لي أن أسير، ورجلي مصابة؟

غفلان: (وقد خرج من تحت الأنقاض ومستندا على كتفي فوران)أنا مصاب كليا ولا أقدر على السير.

فوران: لا سبيل إلا السير ، والحركة.

التنكري المداهم (الذي يستند على ما تبقى من المحطة) لا تتركني أيها الرجل الطيب، هنا في هذه المحطة المنكوبة.

غفلان: اترك ذاك الوغد وحيدا ، وجريحا ، أليس هو الذي داهم المكان؟ وبسببه حلت اللعنة علينا جميعا .

فوران: لا أستطيع أن أترك احدا، منكم.

أصوات متعددة :أريد ماء.. الآخر أريد طعاما.. آه أنين وصرخات

فوران (مسلط عليه الضوء يحاول أن يغير مجرى كل شيء).. أنا المهرج فوران ... استمتعوا بهذه اللحظات الرائعة

أنا ملك الحبل، حطب الزمان، (يقوم بحركات بهلوانية ويغني حتى بزوغ ضوء الفجر)

النهايـــــــــــة

للطين فاكهة أخرى

شخوص المسرحية

النحات الأعرج: الملقب بعلال البوجي

المخبر

المعاون

الشاب مجدوع الأنف : الملقب ناصو

أم الشاب ناصو: الملقبة بالسيدة كريسي مسعود

*****

الفصل الأول

المشهد الأول

المنظر العام

(حجرة مستطيلة بها نافذة أقصى اليمين، تطل على غرفة أخرى،يترآى في حيز منها باب صغير، وأخرى ناحية اليسار، تطل على الشارع. باب وسط الحجرة يؤدي إلى درج العمارة .

طاولة صغيرة بشكل مكتب، عليها قصاصات جرائد قديمة ،وكتب، ورسائل وأظرفة بريدية ،وحزم طرود ملونة.

غليون، ومنفضة سجائر ،هناك مشجب قائم ،له دعامة علقت عليه بعض الثياب ،وقبعة مستطيلة، مصباح تقليدي يشبه الفانوس.

بمحاذاتها يوجد كرسي خشبي عتيق، وكنبة عليها فراش، خف مخمله، بعض المنحوتات غير المكتملة،وبقايا طيون وغراء،وعجين وصلصال تتزين هذه الحجرة ببعض صور الجماجم،الخطوط السريالية، والتجريدية، غير واضحة،سوى مرآة مؤطرة بحلقة خشبية بارزة.)

(الوقت ليلا)....

يبرز في ركن من الحجرة، رجل خمسيني، به عرج واضح ،وهو يحمل قنديلا ، يسير بخطوات متمايلة، كأنه يتمتم، حتى يصل إلى قاطعة الإنارة .. ينير ضوء الحجرة .. لكن القنديل ظل في يده .. يتجه صوب الطاولة يضع القنديل ببطء، ثم يبدأ عملية البحث عن شيء ما، لا يفصح عن ذلك، إلا وهو يستخرج رسالة، من الكومة التي على الطاولة، يمسحها بعينيه بسرعة، ثم يسير وهو يتمايل ،لا يخفي مطلقا عرجه يصل إلى التمثال غير المكتمل، يثبته جيدا.

النحات علال البوجي : (مخاطبا التمثال)... كيف لك أن تحدثني ، وأنت تحتاج إلى أناملي، كي تغطي تلك الشقوق ،والنتوءات، التي لم يصلها الصلصال؟ كلما عدت إليك أيها التمثال انفتحت أخاديد الذاكرة ،واصطبغت بألوانها، (يأخذ الرسالة يتملى سطورها قليلا) يقول: مازالت تحتفظ بعبقها ،لم تنل منها الرطوبة، والغبار، حتى لون القلم مازال طافحا ببريق لونه الأرجواني، أعيد قراءتك حين تخنقني حبال الوحدة ،وتطوحني الغربة بعيدا.

عزيزي علال بوجي: نهضت اليوم باكرا إحتفاء بشروق الشمس، بعد شتاء طويل ،كعادة مناخ الشمال الأوروبي، لا تتصور فرحتي بأول أيام الربيع على إيقاع زقزقات العصافير، العائدة من هجرتها تماما ،كالشموس التي كانت متوارية ،في ظلال الجليد، أشتاق إلى عينيك، لنتقاسم الضوء ،والحلم معا..

ونحتفي بتفتح أكمام الورود ،على قطرات الندى الذائبة ، هاهي الأشعة الذهبية، تلقي بوهجها المتلألأ على الجبال، التي لا تزال مغطاة باهاب ناصع من الثلوج، بينما تتراقص بكل ألوانها ،على وجنتي بحيرة "ايسيل" مازالت تلك الذكريات التي زرعناها معا، تزهر في الروح ، تسقى من ينابيع صافية ، (يطرق الباب) (يتجاهله) (يطرق ثانية)، ثم (تتوالى الطرقات بشكل متتال.). علال البوجي: من الطارق؟ هذا العنيف (يتمتم بكلام غير مفهوم) يسمع أصواتا متداخلة ...افتح يا صديقي: علال البوجي :(بصوت خافت) هل يكون صوت صديقي سليم سكر؟ لا أعتقد ..غالبا ما يطرق الباب دون إزعاج ،كما أنه لا يطرق الباب إلا وهو يترنم،أو يغني.

تتعالى الأصوات إفتح وإلا كسرنا الباب، قد تخسرنا... (يتجه نحو الباب بعدما أخذ معه أداة تشبه الكشكول يفتح القفل يرفع الأداة الحديدية في وجه الرجل الذي يرتدي بزة طويلة وحذاء يغطي ساقيه يضع قبعة مستديرة على رأسه ثم يظهر الثاني خلفه قصير القامة مستطيل الرأس يرتدي سروالا قصيرا موصولا بحزام الكتفين وحذاء نصف طويل) علال البوجي :من أنتما ؟(عندما تبين ملامحها) الرجل مستطيل الرأس : هذا سيدي

علال البوجي: من هو؟

مستطيل الرأس: أنا المعاون وهذا...

الرجل الطويل: أنا من مكافحة التجسس الدائرة الثامنة.

علال البوجي: ماذا تفعلان عندي؟

المخبر: إطمئن سنأخذ بعض الإجابات ،منك على أسئلة بسيطة.

علال البوجي : وما علاقتي بأسئلتكم؟

المعاون : تركنا الجو بارد في الشارع.

ألاتشعر ببعض الدفء؟

المخبر : يظهر أنك تعيش وحيدا.

علال البوجي: بالطبع كما ترى.

المعاون : الرطوبة والأتربة والخردوات.

البوجي : و أنا أيضا.

المخبر: أنت نحات معروف، أعتقد أنك صاحب تمثال الفارس الحديدي.

علال البوجي: بالاشتراك مع البعض.

المخبر : لا ينقطع توافد الزوار عليه ، إنه يتوسط ساحة عامة.

المعاون : وفي الليل يسقى ببول رواده ،من السامرين .

المخبر: (مقاطعا) فتش بهدوء، دون أن تغير في وضع المحتويات.

علال البوجي : (غاضبا) أوصل الأمر إلى حد التفتيش ؟

ما هي التهم أيها المخبر؟

المخبر :أيها النحات الرائع ،أنت تدري أن الإشاعات تملأ الأسماع، خاصة في الأزمات .

علال البوجي: (مستفهما) وما دخلي في ذلك..؟ أنا رجل ضرير، أعرج ، أقضي جل وقتي ، ممددا على تلك الكنبة ،أو أعجن الغذارى والطيون، أو أقلم الصخرحين كنت أقوى على المطرقة.

المخبر: أعتقد أنك محق فيما ذكرت .... هل مازلت تسافر؟

علال البوجي: أسافر حين يكون الدافع قويا.

أو هكذا .. عندما أراه جديرا بالمعاناة والتعب.

المعاون :(وهو ممسك بمجموعة رسائل) سيدي أنها متنوعة الأشكال، والخطوط.

أتحب أن تلقي عليها نظرة؟؟ ،تبدو أنها غريبة بعض الشيء..

علال البوجي: (وهو يشتط حنقا وغضبا)

كيف سمحت لنفسك، أن تعتدي على ما تبقى من أبسط خصوصياتي ؟

المعاون : هي رسائل فقط، إحدى وسائط الاتصال القديمة

علال البوجي : وكيف يكون القديم خطرا على الجديد ؟."

المخبر :غير مكترث ، هي لها طبعا.

علال البوجي : مضى من الليل الكثير، أحس بالغثيان يحاصرني

ألا تشعر بذلك ؟

المعاون: واقيات ذكرية ،وخراطيش فارغة تحت الكنبة.

المخبر : أعتقد أنك مولع بالصيد ،أيها النحات ها ها ها.

علال البوجي: دون تلكؤ، أعتقد أني كذلك .خاصة أن صديقي سليم سكر يحب أن نخرج إلى البراري، في مواسم الصيد للإفلات من الوحدة، والمنغصات.

المعاون: تقريبا مسحت كل الأثاث ،والمحتويات، فقط الغبار يخنقني، أحتاج إلى كمية من الهواء النقية.

علال البوجي : كنت بصدد إعداد حساء الفاصوليا اللذيذ، هل يعجبك طبقا منه حضرة المخبر؟

المعاون : حقا أنا جائع ،طبق حساء الفاصوليا، كم أنا محظوظ يا إلهي.

المخبر: (يمشط الحجرة جيئة وروحا يفرك أصابعه) : كان علي أن أتحرى الأمر، الشائعات تغذيها الأزمات وتصنعها طوابير المغامرين ، ويدفع ثمنها الأبرياء.

لكن علي أن نكمل المهمة ،دون أن أترك ندوبا في شعور الآخرين.

المعاون:(مخاطبا علال البوجي) هل تحب حساء الفاصوليا كثيرا؟

(يرد "علال البوجي" غير ملتفت إليه وهو يغير سترته الداكنة): أعتقد أني أحب حساء الفاصوليا ،خاصة في الشتاء ونصف فصل الربيع، مسترسلا كم يشعرني اللون الداكن بالكآبة ، كثيرا ما أفشل في إعادة التوازن إلى مزاجي، هل تشعر بذلك حضرة المخبر؟

المخبر: وماذا أيضا؟

علال البوجي: ألم تسألني عن الحساء؟

المخبر: (متلعثما) طبعا طبعا..

المعاون: عادة ما أتجنب الحديث عن الطعام ،خاصة حين أنهمك في العمل.

عليك أن تغيب عن نفسك، كي لا تشعر بالوخز مطلقا.

المخبر : (وهو يشر ببعض البرودة) مضى من الليل ثلثه ،ألا تشعر أيها السيد النحات ... بشيء من القشعريرة تغشى أجزاء من بدنك؟

المعاون: نعم سيدي أنا أيضا لولا أن الغبار الذي تطاير من هذه الخردوات وعلق بي ، مكونا طبقة سميكة سمحت لي باتقاء لسعات البرد، لما استطعت المكوث هنا.

علال البوجي: عليك أن تراقص أعضاءك، على إيقاع نبضاتك ،كي تنجو من جليدك الداخلي هاهاهاها..

المخبر : أحاول أن أقاوم البرد، والضجر معا.

المعاون : أراك تجد صعوبة في المشي، هل تؤلمك رجلك؟

علال البوجي (وهو يحمل فرشاة ،ينفض الغبار الذي علق بالتمثال غير المكتمل) : تقصد رجلي العرجاء؟

المعاون : آه تماما.

علال البوجي : تؤلمني طبعا ، كأي عضو أصيب ،ولم يعد كما كان طبيعيا.

المخبر : كم هو فظيع أيها السيد.

علال البوجي: لا عليك ، لست والوحيد،الذي أصابته تلك الشظايا الحديدية اللعينة،التي كانت تحشو بها الأحزمة الناسفة ،والمتفجرات، على اختلاف دمارها، وآذاها.

المعاون: مرتبكا نعم ، بكل تأكيد تلك الشظايا اللعينة، بتراكيبها المميتة كانت سببا في قتل صديقي الوحيد.

المخبر: من مصدر الإشاعات إذا؟

المعاون: من الممكن أن أدوات القتل ، وأدوات الإشاعات مصدرها واحد.

علال البوجي: ألا تريدان طبقا من حساء الفاصوليا؟

المعاون: طبعا أشعر بدفء ،سرى في عروقي.

المخبر: لهذا السبب تعاطفت معك صديقتك ، لكونك النحات؟ ولا أرى أي إمكان ،لجاذبية أخرى.

علال البوجي: (غير مكترث) هذا تقيمك ؟ هيا بنا نعد حساء الفاصوليا اللذيذ.

المخبر: الشفقة أحيانا هي المعبر المؤدي إلى القلب، أو هي الجاذبية الأكثر نفاذا.

علال البوجي: قم بإعداد الطاولة الصغيرة ، وارفع بحذر تلك الكتب والجرائد، ولا تلمس الرسائل بيديك الخشنتين.

المعاون :(منهمك في توضيب المائدة التي تعد للطعام، بينما المخبر يقترب من "علال البوجي" وقد ارتسمت على وجهه مسحة من التوتر) مخاطبا إياه : هذا التجاهل ينبع من ألم داخلي ،سببه أنها.. رفضت الزواج منك ، وأن عرجك الواضح قد عزز فيك الانكفاء على ذاتك ، ورفض أي مقاسمة لوحدتك.

هل تنكر أنك أثناء عودتك إلى هنا أنها كانت تريد توديعك في المطار؟ وقد لمحتها رفقة صديقتها، لكنك أسرعت الخطى ،تريد أن تتجاهلها مرغما عن قلبك المحترق بلهيب الحب ؟

علال البوجي: (منفجرا)لا لا لا ،وهو (يقذف ما بيده من أواني).. لم تكن تريد أن تودعني، هي هكذا قالت: في ختام العشاء الأخير، لأن الوداع لم يطرح بيننا مطلقا.

المخبر: لكن لماذا ...جاءت إلى المطار لتودعك؟

علال البوجي: ربما اصطحبتها صديقتها "نوسي" لاستقبال أحد قريباتها هي كثيرة العلاقات ، والثرثرة أيضا.

المخبر: على الأقل كانت عليها أن تخبرك ،أنها يمكن أن تكون في المطار غدا رفقة صديقتها نوسي مثلا.

علال البوجي: ربما نسيت إخباري، أو أن قضية الحضور إلى المطار بمعية نوسي ،لم تطرح أثناء تواجدي هناك بينهم على طاولة العشاء، المفترض حينها أن لا يكون الأخير.

المخبر: هل تفاجأت، أم شعرت بالحرج ،حين لمحتها في المطار؟

علال البوجي: اهتزت دواخلي ، لكن كان علي أن أبقى متزنا ، لأقرر بسرعة كيف أتصرف، وتصارعت ،في كهف ذاتي جملة من التناقضات، ترى هل اتجه نحو تواجدها؟ أم أواصل سيري إلى قاعة الانتظار الأخير، قبل اجتياز الدهليز المفضي إلى جسم الطائرة.

المعاون: كان عليك أن لا تلتفت مطلقا.

المخبر: لكنك قررت المضي إلى قاعة الانتظار الأخير، قبل عبور إلى الممر النهائي، المؤدي إلى مدخل الطائرة.

المعاون: (بشيء من الحنق) أنت لا تستحق إلا وحدة خانقة، تفترسك فيها الرطوبة،و الغبار ،ولسعات عقارب الذكريات.

علال البوجي : (بتوتر) انتظرت قليلا ربما تلحق بي، بل أحسست بوقع حذائها يدنو، كقطعة موسيقية هامسة.

المعاون: شعور جميل آه حين كنت...(يقاطعه)

المخبر: لكنك لم تلتفت.

علال البوجي: واصلت السير ،حين أدركت أن وقع الحذاء إتجه على يميني

المعاون : ماذا لو استدرت بعنقك ،التي تشبه عجيزة قطة؟

المخبر: طبعا كنت مخطئا في رسمك الخيالي، الحذاء لم يكن هو المقصود، إنما كنت في حاجة إلى رسم مشهد، يليق بالنهاية السعيدة.

*****

المشهد الثاني

علال البوجي: هيا أيها السيد (وهو يشير إلى المعاون، هيا ساعدني في تجهيز الطعام)

المعاون : بكل تأكيد سأساعدك ، الجوع والبرد، يمضغان أعصابي.

علال البوجي: (يتجه صوب الباب الصغير يفتحه ، يد س رأسه لا يظهر إلا وسطه ،وأطرافه السفلى ،يستخرج أواني يضعها جانبا ،ويعيد الكرة فيظهر إلا وهو يحمله طنجرة صغيرة ، في كامل الابتهاج) يقول : هذه هي التي أعددتها ليلة أمس، أخذت منها قليلا، لكني ندمت أشد الندم، على أني لم أشفي نهمي، وشراهتي العجيبة، لطبق حساء الفاصوليا.

المعاون: أيها النحات .. هل أحمل كل هذه الأواني.؟

علال البوجي: بالطبع وها أنا أحمل الطنجرة التي فيها الحساء ، سيكون لذيذا كما عاهدته ..هاهاها

المخبر: أيها السيد الأعرج ، عفوا النحات ...فرحت لسلامة إحدى منحوتاتك من الحريق ،الذي أتى على جزء كبير من متحف الفنون مؤخرا.

علال البوجي: (مستعجلا) الفن أطول عمرا من البرونز...هيا.. هيا الطعام سيكون جاهزا بعد دقائق.

المخبر: بإمكاننا مساعدتك ،في استرداد ما تريد .

علال البوجي : (وهو يضع الطنجرة على الطاولة، غير مكترث) لا: فقط أريد أن أنعم بشيء من الهدوء ، هيا أيها السيد.

المخبر: حسنا حسنا.

المعاون: أعتقد أن كل شيء أصبح جاهزا.. ما هذه؟ (وهو يشير إلى كيس لف بإحكام شديد)

علال البوجي: فقط خبز طري ،أعتقد أنه كذلك ....(متوجها إلى المعاون) لا تنس أن تأخذ نفسا ....تجهيز الطعام يحتاج إلى خبرة وبرودة أعصاب، مثلما تحتاج الصخرة عند النحت، إلى القوة، والنعومة معا .

(أمام الطاولة الصغيرة ، يتحلق المخبر ومعاونه، بينما يفتح علال البوجي لفافة كيس الخبز ،يناولهما قطعا من الخبز يظهر اشمئزازهما ،من لونه ورائحته)

المعاون: ما هذا الخبز؟

علال البوجي: كما ترى خبز، أليس كذلك حضرة المخبر. ؟

المخبر :(وهو يبلع ريقه بصعوبة) بلى إنه.

علال البوجي: (مقاطعا المخبر) طريا يثير الشهية، عندما تأخذ مني المطرقة كل قوتي هه هه هه أتناول منه قطعة، إن قلب الصخرة عنيد أيها المخبر ...(بينما هما في حالة وجوم) ...(يقدم على نزع غطاء الطنجرة) (فإذا هما يضعان أيديهما على أنفيهما ، يتزحزحان إلى الوراء ، بينما يواصل علال البوجي تمتعه)

علال البوجي: آه إنه شهي (متوجها بوجهه وحديثه إلى المخبر ومعاونه ،وهما يريدا أن يتجرعا ما في بطنيهما)

إن علاقتي بحساء الفاصوليا طويلة... لذلك حين أقوم بإعداده ،علي أن ألبس أجمل الثياب ، وأرش شيئا من عطر زهرة الكاردينيا .

كما يفعل العشاق عادة (في الوقت الذي فيه يتجشؤ فيه المخبر ومعاونه يواصل علال البوجي مسترسلا) هكذا : أعطي للأشياء معنى.

المخبر: لمعاونه هيا بنا ..لابد أن نغادر، الوضع لم يعد يحتمل .

المعا ون: بالفعل سيدي هيا بنا ..(وينصرفان)

****

الفصل الثاني

المشهد الأول

(يلقي علال البوجي بجسده المنهك على الكنبة ، يتمدد، يسترسل محدثا نفسه)

علال البوجي: كان اليوم طويلا وليله أطول ...كان علي تقبل جريان أحداثه ، ما يحز في نفسي أن منظر ذلك التمثال يؤلمني، كلما صوبت عيني تجاهه ، أحس أن نهرا من الكلام ، يتدفق من صمته ، إنه يناديني لأكمل رحلته الناقصة .

علي أن أنام قليلا كي أعيد شحن أعضائي بطاقة متجددة، أرى غيابها منذ أخذ ت مني تلك الشظايا النارية قوتي وجناح قلبي الذي أحلق به، (.يصمت .. يتململ ينقلب ،يمينا وشمالا ، يقوم مفزوعا، يتجه صوب القنديل يشعله يحمله متجها إلى التمثال، يعجن الصلصال على دندنات مختلطة) .. أيها المخرط كن ناعما ،وأنت تعبر استدارة وجهها ،واحذر أن تجرح ميسم البحيرة .

أيها الصلصال(وهو يعجنه) الطافح بخميرة البدء ،كن جيد الفراشة كما كنته في النشوء.. لم أعد أملك الكثير من الخيال ،لأن الواقع أكبر من تخوم تهوماتي .

(يطل ضوء الصباح، وتخترق بعض أشعة الشمس ثقوبا غائرة ،في البهو المستطيل يواصل النحت .. تارة يقهقه وتارة يدندن).

(في الوقت الذي تدب فيه حركة ، و تتصاعد ...وكان النحات قد نسي أن يغلق الباب ، الذي ظل مواربا بعد انصراف المخبر ومعاونه)

(تزداد وتتصاعد وتيرة الضوضاء، يتوقف النحات عن التشكيل، ثم يواصل غير مكترث)

(فجأة يدخل من الباب المواربة ، شاب دون الأربعين، بذعر كانه مطارد، يضع وشاحا على وجهه ،لا يرى إلا عينيه، يرتدي بنطلونا أكبر منه قليلا ،ومعطفا ضيقا ممزق من إبطيه ،وحذاء ذو ساق) (النحات لم يلتفت ظل منهمكا في نحته) بينما الشاب يلتفت يمينا وشمالا، يتقدم قليلا ثم يتراجع .)

الشاب المطارد دون مقدمات: الجو حار هنا، والرطوبة خانقة، ربما هجرها أهلها وتركوا الباب ، المهم أني نجوت من ذاك الوغد المفترس، يصلح هذا البيت العفن أن يكون مكان اختباء، إن مغادرة بيتنا قبيل شروق الشمس لم يكن أمرا جيدا على الإطلاق.

علال البوجي: (بنحنحة طويلة) من هناك ؟

الشاب المطارد: (مذعورا) ألا يوجد أحد هنا ؟

علال البوجي: أنت وأنا .. أعتقد أنه ،لا يوجد غيرنا .

الشاب المطارد: كنت أرقب شروق الشمس عند الصخرة القرمزية ، التي تقول أمي أنها سقطت من عين الشمس، الناس يأتون من كل المناطق ليروا انكسار أشعة الشمس الأولى على وجهها .. فتصبح متعددة الألوان ...إنه منظر بديع حقا ..... أرأيته أيها السيد؟

علال البوجي .. يقاطعه السيد: اسمي علال البوجي ، الملقب بالنحات الأعرج!

الشاب المطارد: كم ذلك مؤلم حقا .

علال البوجي : ماذا ؟

الشاب المطارد : تشرفت ، أيها السيد بوجي.

علال البوجي: من فضلك حروف اسمي غالية عندي ،هي ما تبقى لي من صباي، ورائحة القماط، وصخب العائلة وتعاويذ أبي، وأوجاع أمي .

الشاب المطارد : أسف أيها السيد ..بوجي النحات .

علال البوجي :أتمم.... الأعرج ،أنا لا أكترث لذلك .

الشاب المطارد: لكني أتحاشى أن أذكرك بألم ، كما لا أحب ، أن يذكرني أحد بما أعاني...

علال البوجي: أزح ذلك الوشاح الأسود ،كي أتبين وجهك ...

الشاب المطارد: لا لا ويصرخ صرخة مدوية ..أرجوك ..

علال البوجي: قبل دخولك بقليل إلى هنا كنت أهم بغلق الباب ،الذي تركاه المنصرفين .

الشاب المطارد: شكرا أيها السيد ،لو كان الباب مغلقا لما اختبأت هنا ، أو ربما ألقي علي القبض ،من ذلك المفترس، أو ربما خانني حظي مرة أخرى ،واقع على درج الباب قبل أن أصل ...يا إلهي كم كنت محظوظا حين حضرت انكسار أشعة الشمس عند شروقها ،على الصخرة القرمزية ، وها أنا الآن عند نحات يظهر أنه رجل طيب قليل الحظ مثلي ، ومجروح المشاعر أيضا.

علال البوجي: يبدو أنك تبحث عن شيء ...

الشاب المطارد: ألا يوجد قليل من الماء؟ .. أطفئ به لهب العطش ، يظهر أني عدوت طويلا ، أشعر بالإرهاق وجفاف في حلقي .

علال البوجي: طبعا في الحال ،أيها الشاب الجميل .

الشاب المطارد : كف عن إيذائي، أينما حللت إلا والكلمات الزائفة ، الفاقدة للمعنى ،تخرج متعرجة، بين فكين جارحتين.

علال البوجي: لم أقصد جرح شعورك.

الشاب المطارد: ها أنت تقول لم أقصد جرح شعورك،إذن هناك شيء يشعرك بهذا .

علال البوجي: (وهو يقدم كوز الماء إلى الشاب المطارد).. خذ بني أطفىء ظمأك

الشاب المطارد : بغضب ،لا أريد منك أي شيء .

علال البوجي : كما تريد ،إذا احتجت إلى الماء ، لا تنس أنه إلى جانبك (ويضع برفق كوز الماء قريبا من الشاب المطارد)

الشاب المطارد: علي أن أعود إلى البيت ،أكيد أن أمي تبحث عني ،بين أزقة الحي، أو في دهاليز العمارات، وعند الصخرة القرمزية.

علال البوجي: عادة الأمهات يتحملن كل تصرفاتنا ، ولا يتركنن كالآخرين، ربما هن أقدر استيعابا، لهذا الدور المركب .

(الشاب المطارد وهو يصوب نظره تجاه التمثال غير المكتمل): كم أحب الرسم، والنحت على الخشب.

علال البوجي: مدهش وأيضا ..

الشاب المطارد: لا شيء هل أنت وحدك هنا ؟

علال البوجي: منذ ثلاثين عاما ،وأنا بين الصخور والطيون، والحديد والخشب والبرونز ، إنها رحلة غريبة ممزوجة بالمتعة والألم.

الشاب المطارد: يا إلهي !!

علال البوجي:ماذا ؟ هل هالك الأمر.. إنه شيء تافه .

الشاب المطارد: علي أن أعود ... أظن أن الشمس قد ارتفعت إلى الزوال.. ورواد الليل قد خيم النعاس على جفونهم .

لماذا هذا التمثال لم تكمله ، مسكين يشكو نقصانه ؟

علال البوجي: ضاحكا ها ها ها قل مسكينة .

الشاب المطارد: (وقد اشتط غضبا وتملكه رعب) فقط هن في الوجود .. السياسة هن، والحروب هن، والروايات والمسرحيات هن ، واللوحات والتماثيل والجواهر هن ....أنت تستفزني يا هذا بحماقاتك ،التي لا أظنها تنتهي .

علي أن أعود إلى البيت ،لا أريد أن أقاسمكم ،عالما يسير إلى نهايته.

علال البوجي: لم أقصد، إنه تمثال بلا وجه، فقط كتلة من الحديد المكسوة بالصلصال.

الشاب المطارد: تبدو طيبا أيها السيد..

علال البوجي: وأنا كذلك ، لولا عرجي الذي يحد من حركتي، وتباريح الألم التي تكتنزها رجلي اليمنى ..

الشاب المطارد: كم ذلك فظيع ،ألا تشعر بالانزعاج ؟؟إذا ما وصفوك بالأعرج ؟

*****

المشهد الثاني

علال البوجي: بالطبع لا، كنت فيما مضى أي أول مرة ، حين أصبت وسكنت تلك الشظايا الحديدية اللعينة عجزي ،و لم يستطع الأطباء إنقاذي ،بينما حل بي عرج دائم ، أنا الآن متعايش مع عاهتي ،بل استطاع ذلك النقص والألم أن يكملاني، (وينهمك في وضع الصلصال على التمثال ، متوجها برأسه إلى الشاب المطارد): من الأفضل أن لا تدع ذلك القلب المحترق يزداد ألما واحتراقا ، انصرف ولك أن تعود متى شئت .

الشاب المطارد: معذرة أيها السيد ، أظن أن وجودي سبب لك إزعاجا .

علال البوجي: لم أقل ذلك، ألم تقل أنها تنتظرك، وتبحث عنك ؟

الشاب المطارد: ليس تماما .

علال البوجي: علي أن أشكل معالم وجه التمثال ، وأبرز قطعة فيه الأنف هه هه هه

الشاب المطارد: (وهو في حالة ذعر) الأنف، الأنف ، يا إلهي أي جارح أنت ،أيها الوحش ؟!

الأنف، ماذا تريد مني ؟ ماذا فعلت لك حتى تنتقم مني ؟.

علال البوجي(في ذهول) ماذا بك ؟ هل أصابك شيء؟

الشاب المطارد: هذا يؤلمني.

علال البوجي: ماذا؟

الشاب المطارد: أنت لا تعي مقدار الألم، الذي سببته لي .

علال البوجي: (في حالة استغراب) كدت أن تفقدني صوابي ، ما الألم الذي سببته لك ؟

الشاب المطارد: حديثك عن الأنف.

علال البوجي:(متفاجئا وضاحكا في نفس الوقت)

ها ها ها أقصد انف التمثال ،النحات حين يصل إلى تشكيل ذلك العضو يكون حذرا ومترددا ...إنه المسؤول عن تناسق الوجه هاها.

الشاب المطارد: آه آه إنك تؤلمني ،(ويجثو على قدميه) يا إلهي .. كم هذا النحات يتمادى في إيذائي.

علال البوجي: وهو يهرع إليه مذهولا !! ما بك يا بني؟

الشاب المطارد: ابتعد عني أيها الوحش الكاسر، لماذا تبعث بسكاكين كلامك الجارح في وجهي الآن .

(يحاول علال البوجي أن يخفف من وطأة كلامه) : لم أقصد، قم بني (وأثناء تلك المراوحة يسقط اللثام عن وجه الشاب المطارد فينكشف أنفه المجدوع ،وأثار مرض الجدري على وجهه)

الشاب المطارد: وهو يصرخ أهذا ما تريد أيها العجوز الماكر؟ تريد الكشف عن دمامتي، وأنفي المجدوع ؟

علال البوجي: لا لا متلعثما ،آه لا عليك.

الشاب المطارد: آه .. أبدو لك مخيفا ؟

علال البوجي: وهو(يبلع ريقه بصعوبة بالغة) ....تبدو طبيعيا ، مثلما أنا أبدو طبيعيا في نظرك.

الشاب المطارد : (بغضب وحسرة) أنت غير صادق، أبدو مخيفا ،لماذا لا تصارحني؟

علال البوجي: لا لا يا بني ،بالتأكيد أنت رائع وطيب .

الشاب المطارد: الكثير يقولون كما قلت ،ولكنها في حقيقتها شفقة لا غير.

علال البوجي مبررا: انظر ها أنا أعرج، أفقد التوازن ،أسقط أحيانا حين أتعب من الوقوف ، لكني طبيعي ،روحي سليمة، وعقلي الذي أفكر به أيضا ،هيا بني

كن قويا ، الربيع قادم ويجب أن تمضي أوقاتا بين مروج العشب وأزهار الشجر ، سنخرج معا ، حتى أني حين أسير في حقول الذرى ،وزهور الأقاحي، أستعيد توازني ،ولا أحس بالألم مطلقا ها ها ها .

الشاب المطارد: لماذا لم تسألني عن سبب تشوهي، و أنفي المجدوع ؟

علال البوجي ولماذا أسألك ؟.... الحوادث نمر بها وتصبح من الماضي .

الشاب المطارد: لكنه حادث مؤلم، حول حياتي إلى سجن، وإلى جحيم .

علال البوجي:(مخففا) هكذا الحوادث تريد أن تظل حية ،لتسرق من أوقاتنا ما هو جميل .. يجب اغتيالها بالحب والإقبال على الحياة، والنظر إلى جوانبها المشرقة، واختيار الألوان التي تكون بلسما لجراحنا .

الشاب المطارد صارخا:صعب ذلك ...لا أستطيع ...حاولت ولكن المرآة خذلتني .. كم من مرآة كسرتها .. ولم أشفي غليلي.

علال البوجي: لا تخف من المرآة، دعها تراك بكل تفاصيل جمالك .. أزح الحجاب الفاصل بين وجهك ،ووجهها ببسمة مشرقة .

الشاب المطارد :أنت رجل طيب ، لولا أنك جرحتني بنصال كلامك ، الذي أصاب نفسيتي بجراح كنت في غنى عنها.

علال البوجي: لا هو أنف التمثال الذي كما تراه ،قابعا في ذلك الركن منذ شهور هه هه هه ...

الشاب المطارد: بالتأكيد الأنف يعني لك الكثير ، وهو ما يزيد في ألمي وتعبي.

علال البوجي: أريدك أن تساعدني .

الشاب المطارد: أنت تسخر مني. علي مغادرة المكان الذي يشعرني بالألم .

علال البوجي: أريدك أن تصبح نحاتا.. وبذلك يمكنك أن تشكل ما تشاء من الطبيعة والإنسان .

الشاب المطارد : ولكني ...

علال البوجي: مقاطعا ، ولكنك شاب حساس ،وذكي، وهذا ما يحتاجه النحت .

الشاب المطارد: لا.. لا غير ممكن .. أحب الرسم .

علال البوجي:هو أيضا رسم ، يحتاج إلى عمق ورؤية .

تعالى انظر إلى هذا الغصن كيف أصبح ...ألم يعجبك؟ .

(ويخرج تمثالا خشبيا من تحت الكنبة ،لم يكن مرئيا) .

الشاب المطارد: بلى إنه رائع، هل أخذ منك وقتا طويلا.؟

علال البوجي: بالطبع، وكنت حريصا على مداعبته برفق .

الشاب المطارد: كيف تتعامل مع وجه التمثال.؟

علال البوجي: كأي عضو في جسم المنحوتات، غالبا ما تستفزني بعض الوجوه بنظراتها ، لكني لا أكترث، لأني أشكل الأشياء ليس كما أراها ، بل كما أتخيلها .

الشاب المطارد: وهو يشير إلى التمثال القابع في الركن، لماذا لم تحاول أن تشكل وجهه ؟ آه قلت لي أن المشكلة في الأنف .

علال البوجي: ليس تماما ،غالبا ما أحب الأنوف القصيرة الذلفاء

الشاب المطارد: مقاطعا شيء جميل، والأنف المجدوع ؟

علال البوجي : طبعا كل الأنوف، أراها جميلة خلقها الله في أحسن صورة.

الشاب المطارد :حقا ؟

علال البوجي: بالتأكيد أريد أن أشكل أنف ذلك التمثال بشكل أسطوري ، هل تساعدني ؟

الشاب المطارد: كيف ؟

علال البوجي: أن نتخيل أنفا معا ،ونشترك في تشكيله؟

الشاب المطارد: بالتأكيد .. تريد أن نتخيل أنفا جميلا؟

علال البوجي: أليس كذلك ؟كل الأنوف جميلة .

الشاب المطارد: حتى أنفي؟

علال البوجي: نعم بالتأكيد .

الشاب المطارد: (منتفضا) لست صادقا، فقط أثير شفقتك ،وهذا ما يؤلمني.

علال البوجي: هذا شأنك مغيرا وجهة الحوار، هل تعجبك رجلي العرجاء؟

الشاب المطارد: لا أنظر إليها.. إلا قليلا .

علال البوجي: ولماذا لا تنظر إليها ، أتثير اشمئزازك ؟

الشاب المطارد: لا أظن ذلك، فقط تبدو مزعجة أحيانا، حين تفقد بعض توازنك..

علال البوجي: تعجبني ثقتك، لكن رأيك لا يثير أعصابي مطلقا .

الشاب المطارد : لم أقصد جرح شعورك ، أنت تعرف مما أعاني.

علال البوجي أعرف .... أنت شاب مهذب فعلا، حفظ التوازن مهم ... خاصة أثناء السير في الحدائق العامة ، أو على الجادة الغاصة بالمتجولين

المشهد الثالث .

الشاب المطارد: ولكن أنت لم تكن صادقا معي .. ألم تقل أن الأنف هو عضو التوازن في الوجه ؟

علال البوجي: نعم عالم البشر ثري بأشكال الأنوف ، الطويلة والقصيرة والمدببة والعريضة والبصلية ،واللحمية ،والاخنسية، وكلها تعبر عن ملامح الجمال في مملكة الإنسان .

الشاب المطارد: لكنك استثنيت الأنف المجدوع ،وهذا يزيد من ألمي ،ويمنع التقارب بيننا.

علال البوجي: نعم بالتأكيد الأنف المجدوع يحمل أيضا تقاسيم الجمال، وإن كانت تحتاج إلى تعبير.

الشاب المطارد: أي تعبير ؟

علال البوجي: التعبير عن الجمال الكامن فيه ، هيا ساعدني في تشكيل الأنف الأسطوري.

الشاب المطارد: وهل يمكن أن يكون أجدعا ؟

علال البوجي: أظن ذلك ،سيكون رائعا بل شك.

الشاب المطارد: ولكن ذلك يجعل التمثال، يثير الأسئلة .

علال البوجي: بالطبع كل المنحوتات ،تثير الأسئلة .

الشاب المطارد: لو شكلت أنف التمثال شبيه أنفي، لن تتخلص من الأسئلة الجارحة على مر الزمن ،وأنا لا أريد ذلك

علال البوجي: بالطبع خلقنا ،ونحن نتنفس الأسئلة.

لولاها لما استطعنا أن نكيف الطبيعة..هيا هيا ساعدني ، ضف قليلا من الماء للصلصال..

الشاب المطارد: أيكفي ذلك ؟

علال البوجي أظن أن قليلا من الماء يكفي؟

(يترآى النحات والشاب المطارد وهما منهمكان ، في تحضير الصلصال وأدوات النحت.. فجاة يتوقف الشاب)

الشاب المطارد: قبل أن أصل إلى هذا المكان كنت وحيدا ، أليس كذلك؟

علال البوجي: (وهو يمسح المخرط) بالطبع كنت وحيدا ، غير أن ذاكرتي تعج بالضوضاء هاهاها .

الشاب المطارد: معنى ذلك أنك كنت ،قد تخيلت وجه المنحوت؟

علال البوجي: بالتأكيد .

الشاب المطارد: هل تخيلت وجها جميلا ؟

علال البوجي: أظن ذلك.. أو هكذا..أعتقد .

الشاب المطارد: لماذا غيرت رأيك ، كن صريحا ؟

علال البوجي: (وهو يحاول التملص من الجواب) أنت لم تكن معي... وحين جئت تغير حالي ،لم أعد وحيدا ..

على الأقل يوجد صديق أحدثه، ويحدثني أليس كذلك ؟

الشاب المطارد: ولكنك قلت أنك تخيلت وجها جميلا ، أتنكر هذا ؟

علال البوجي: من الماضي نتذكر ،وفي الحاضر نفكر ، ونحن في الحاضر ، نفكر معا كيف نرسم وجها أسطوريا .

(تنتاب الشاب المطارد نوبة هستيرية ،يحاول أن يهجم على التمثال ليكسره يصده علال البوجي..

يحدث اشتباك، يفقد النحات توازنه فيسقط أرضا، يهجم عليه الشاب المطارد)

الشاب المطارد : لقد سببت لي كثيرا من الآلام ، علي أن أريح العالم من منحوتاتك المهينة للبشر .

علال البوجي: (متأثرا).. بإمكانك أن تفعل .

الشاب المطارد : كنت أحمقا ،حين صدقت كلامك .

علال البوجي: (بطء ينم عن حزن) كل كلمة كنت صادقا فيها (في الوقت الذي يسمع صوت رقيق به مسحة حنان من وراء الباب في درج العمارة يخف ويتعالى)

الشاب المطارد:(يتوقف) يا إلهي ماذا أسمع ، إنها إنها ، كيف عرفت أني هنا؟ إنه صوتها ،أعرفه من ملايين الأصوات.

علال البوجي : صوت حنين أسمعه ينبعث من قلب ، لا من حنجرة .

الشاب المطارد: إنها أمي تنادي.

علال البوجي: وهو ممدد على الأرض .. أمتأكد أنها هي ؟

الشاب المطارد : بالطبع إنها أمي .... لكنها تتحمل المسؤولية فيما حل بي.

علال البوجي : ولكنها لم تكن تقصد ، هيا هيا افتح الباب ، ذاك القلب يحترق، وطلة منك تعيد إليه الرواء والانتشاء...

الفصل الثالث

المشهد الأول

الشاب المطارد:(يفتح الباب فتدخل إمرأة ستينية، غزى الشيب مفرقهاوجهها تخطه أخاديد عميقة ،ترتدي معطفا أسودا ،تحته تنورة طويلة وحذاء دون كعب)

الأم السيدة كريسي مسعود: رائحتك كانت تملاني ،منذ اقتربت من العمارة ، الساعات التي غبت فيها أكلت ما تبقى مني ، كان قلبي يعتصر، وهو الذي هدته ضربات الضغط الدموي ، ولسعات السكري .. رجلاي المتورمتين لم تحولا دون تمشيط الأحياء القريبة، وحتى الصخرة القرمزية التي كنت تنتظر عندها شروق الشمس .

الشاب المطارد : دائما تشعريني أني صغير .

الأم : أنت طفلي الذي لا يريده قلبي أن يكبر .. أعدك أن الأشباح لن تطأ منزلنا بعد اليوم .

لقد أحضرت لك الكعك الذي تحبه ،وقليلا من فطائر الجبن اللذيذة .

علال البوجي : أسمعت أنها الكلمات ،التي لن تجد لرنتها وإيقاعها من يماثلها ،في عالم الحاجة ،والغرض والمصالح.

الأم : يا إلهي من هذا الرجل الملقى على الأرض .

الشاب المطارد:(غير مكترث)إنه نحات أعرج بائس .

الأم فظيع هذا : (وتتجه نحوه) : قم أيها السيد .

علال البوجي: وهو يقوم وينفض الغبار من ملابسه .. "السيد علال البوجي" نحات أعرج كما سمعت .

الأم السيدة كريسي مسعود: لا عليك أيها السيد: بوجي .. طفلي لم يقصد ... إنه طيب ..وقليل الحظ .

الشاب المطارد: كدت أخنقه بيدي ،ولولا أني سمعت صوتك .

الأم : الحمد لله أني حضرت في الوقت المناسب .

علال البوجي :لا عليك أيها السيدة....

الأم: (مقاطعة) إسمي السيدة كريسي مسعود، إيطالية المولد ، زوجة المرحوم السيد مسعود تومار، تعارفنا في نابولي، في بيازا مونيشيبو، قرب فندق سنيورتا .

كان الجو ربيعيا،ورذاذالمطر،يتماهى مع شمس الجنوب الإيطالي الدافئة والخطاطيف سابحة في زرقة السماء ، وكما أن الكائنات تستيقظ من سباتها، فتدب الحياة في عروقها ،وأنفاسها ،فالقلوب والأرواح ،أيضا تحلق في سماوات الحب .

ويا للصدف الجميلة ،(تغرق في بركة صغيرة من الضحك ها ها ها) والحب غالبا مايولد ،من رحم الصدف .

تعثرت رجلي ،جراء الكعب العالي ، على الرصيف البلوري ، فقدت توازني ،وبينما كان رأسي يتجه إلى الأرض، كانت يدا قدرية تخطفني من أنياب السقوط (تضحك هه هه ها)

الشاب المطارد : الكعب العالي ، أم الأرض مبللة، ومن هذه اليد التي مدت إليك، كان عليك ..

الأم: (تقاطعه) يد مسعود ،هي يد والدك يا صغيري .

الشاب المطارد هيا بنا إلى البيت .. الشمس تتهيأ للغروب .. والظلام سيحل بعد قليل .

(مسترسلا)....تذكرت أمي، هذا النحات الأعرج البائس، أراد أن يجعل أنف ذاك التمثال، يشبه أنفي .

الأم: (وهي تبلع ريقها من الخوف)..هو طيب بالتأكيد .

الشاب المطارد: لم أتبين ،هل يشفق علي ذلك البائس ؟أم يستهزئ بأنفي المجدوع ووجهي المجدور .

الأم السيدة كريسي مسعود:(مخففة من روعه) يا بني ربما قصده ، ليس كما تعتقد.

يكفي أننا أتعبناه ، وهو كما نرى رجلا ضريرا ..هيا ننصرف .

علال البوجي:(بعد أن يتناول جرعة من الماء من الكوز الصغير)

صدقيني ، أنا فرحت لقدومك ،إن نفسا أنثويا حنونا قد مسح وجه هذه الحجرة المغبرة ، برذاذ جميل..إن المكان الذي لا يؤنث لا يعول عليه

فأنا كما ترين أيتها السيدة مسعود.

السيدة كريسي مسعود :(مقاطعة) كريسي مسعود من فضلك .

علال البوجي: عذرا أيتها السيدة كريسي مسعود، صحيح أن ابنك كان عنيفا معي، لكني أحببته ،هو ولد طيب وجميل .

السيدة كريسي مسعود : هو هكذا بالتأكيد.

*****

المشهد الثاني

الشاب المطارد : (منفعلا وهو يجثو على قدميه) : لا تحاولا أن تخدعاني ، وأن تجرحا شعوري في كلمات معسولة محشوة بالشفقة ، وأنت أيها....

علال البوجي : (مقاطعا) : أكمل الأعرج...

السيدة كريسي مسعود: لم يقصد..إنه طيب ، عذرا أيها السيد ...

هيا بني علينا أن ننصرف، ونترك السيد بوجي يرتاح ،إن الليل خيم بسواده .

علال البوجي :لا داعي للاعتذار ،أيتها السيدة كريسي مسعود ،أنا والألم والتعب أصدقاء ...

السيدة كريسي مسعود : ذلك رائع أيها السيد بوجي، ولكن خفف على نفسك أنت نحات مميز...

الشاب المطارد : كان من الممكن أن أكون مثله لو أن وجهي كان لائقا، وأنفي ليس مجدوعا .

السيدة كريسي مسعود: أنت أجمل في عيني من كل شيء .

الشاب المطارد: دائما تشعريني ، أنك الوحيدة التي ترى ذلك.

علال البوجي: محقة ،السيدة كريسي مسعود ...

الشاب المطارد : ها أنت قد عدت إلى السخرية ،والاستهزاء ، أنت تعرف أني لست جميلا .

وأنفي مجدوع ،ولا بد أن أخفي دمامتي .

(ملتفتا إلى أمه) .... هل تذكرين لما كنا في القطار متوجهين إلى الشمال؟

السيدة كريسي مسعود: أحاول أن أتذكر، ذاكرتي أضحت مثقوبة ، لكني سأحاول أن أتذكر .

سأفعل المستحيل من أجل ذلك .أعدك.

الشاب المطارد: آه هل تذكرت ؟

علال البوجي :دع السيدة تتذكر، دون ضغط .

الشاب المطارد : وما دخلك أنت بيننا ؟

الأم أي السيدة كريسي مسعود:(كي تفض الاشتباك)

أعتقد أني تذكرت ، حين أخذنا معا بعض فطائر البطاطس المحمرة، المكسوة بالجبن..

كان يوما رائعا حقا ،(نظر إليها الابن نظرة توحي بالكثير تبلع السيدة كريسي مسعود ريقها بصعوبة تقول).. فيما أعتقد أظنه كان عاديا .

الشاب المطارد: المرأتان اللتان كانتا بجانبنا ؟

الأم السيدة كريسي: (مترددة).. أعتقد أني تذكرت .

كانتا سيدتان جميلتان..

الشاب المطارد : أماه .. كيف تقولين ذلك ؟

الأم السيدة كريسي مسعود(متفاجئة) يبدو أني لا أتذكر جيدا .

الشاب المطارد :كانتا تتغامزان ،وتسخران من أنفي ، بعدما أزاحت الريح بعضا من غطاء وجهي حين كنت أفتح النافذة وغرقت في جمال تلك الحقول الموشاة، بزهر الأقاحي .

الأم السيدة كريسي مسعود :نعم كانت تلك المناظر جميلة إلى الحد الذي كنت قد تناولت شطيرتين، من فطائر البطاطس هاها ها

الشاب المطارد: لما لمحت نظراتهما، وهما تتمتمان، ثم قالت إحداهما ..كم هو فظيع أنفه ...

الأم السيدة كريسي :لم أسمعها جيدا ... هكذا هن بعض السيدات يحملقن في كل شيء ،بقصد أو بدون قصد .

هن مثقلات بالأحلام ،والآلام يا بني ..

لذلك لا يمللن من الثرثرة ،حتى مع الجمادات هاهاها كجارتنا "سوالي " التي تتصارع ،حتى مع الجدران .

أتذكر ذات مساء حين قالت لي :اسمعي يا كريسي..هذا الجدار الذي بينا يزعجني، ويستفزني ... لابد أن ينهد ..

صمته يثير أعصابي ها ها ها ...

يا بني هكذا هن بعض النساء ، طيبات، وجريحات ، ومليئات بالاسرار والثقوب، والحفر والنتوء .

الشاب المطارد: كم يؤلمني ، وأنا أراهن ضد طبيعتهن ..

كانتا ينظران إلي بسخرية ، وأنا لا أستطيع أن أغير من وجهي شيئا ..

الأم السيدة كريسي مسعود: هون عليك يا صغيري، الطبيب طمننا، ونحن مستمرون في اصطياد الأمل .

المطارد :لاجدوى من تطمينات ذلك الذي لا يهمه من أمري وأعصابي ، ونفسيتي سوى جمع الكثير من الأموال .

علال البوجي:(وهو منهمك في مرسمه) : أستطيع أيها الشاب أن أجعلك تفتخر بهذا المنحوت الرائع .

السيدة كريسي مسعود: وهي مسرعة نحوه .. كيف ذلك أيها السيد ؟

الشاب المطارد : لا تهتمي لكلامه، إنه بائس وخرف .

علال البوجي : تستطيع أن تشاركني إن أردت.

السيدة كريسي مسعود : إنها فكرة طيبة ،لكن لا أعلم إن كان يقبلها

الشاب المطارد : ألم تعرفي أني أحب الرسم والألوان (أخبريه ، وهو يشير إلى والدته السيدة كريسي)؟

الأم السيدة كريسي : تماما، صغيري يحب الألوان، خاصة البرتقالي.

علال البوجي : النحت كالرسم والصلصال ملون أيضا.

الأم السيدة كريسي مسعود : يا إلهي كنت أعتقد أن صلصال الخليقة ذو لون واحد

علال البوجي: طير الصلصال يطير شوقا ،إذا ما نفخ فيه المحبوب هكذا قيل .

لذا الصلصال هو ثمرة لقاء الماء والتراب والهواء.

الأم السيدة كريسي مسعود : للطبيعة أسرار ونحن علينا أن نغادر ،شكرا أيها السيد الطيب ...

*****

المشهد الثالث

الشاب المطارد : (يتجه صوب مرسم النحات) . كيف أشاركك وأنا لا أعرف النحت ؟.

الام السيدة كريسي مسعود : هيا صغيري.. علينا أن ننصرف، الليل انتصف والبيت معرض للسطو..

جارتنا "سوالي" كعادتها تنام باكرا جراء الجرعات التي تأخذها من الحبوب المنومة... كم نصحتها أن تكتفي بقرصين .

كما أفعل أنا في أغلب الأوقات .

علال البوجي : هيا هيا (وهو يشير إلى الشاب) أمسك المخرط .. هاها هاإنه يشبه منشة حسناء، تطل من شرفتها ..

ها ها ها النحات ، ابن البقايا من الخردوات ،والطيون والكلس والخشب، هو مزبل تلقى فيه كل البقايا ، ليعيدها إلى الحياة بأشكال ،وبمهات أخرى .

الأم السيدة كريسي مسعود: هيا هيا بني لنغادر ..

الشاب المطارد : لا نغادر حتى أرى كيف يكون شكل أنف التمثال .

الأم السيدة كريسي : حسنا لا تنس أنك موهوب منذ صغرك .

المطارد: لولا ما حدث لأنفي ووجهي .

الأم السيدة كريسي مسعود : أقصد لو كانت ظروفنا أحسن لكنت رساما مدهشا .

علال البوجي :حاول أن تضيف قليلا من الماء ،لتحصل على رغوة الصلصال.

الشاب المطارد: هذه الصلصالة الغضة ،تثير شهية أناملي .

الأم السيدة كريسي: (وهي تتابع تعامل ابنها مع غضار الصلصال ،وهي ترفع يديها إلى السماء)

كم أنت الكريم يا إلهي ..

الشاب المطارد: يبدو الأمر رائعا ..

علال البوجي: ستغيب في شفيف من الحلم الجميل ، وتحلق كطير خفيف في الهواء.

الأم السيدة كريس مسعود : نعم يا بني ربما قد تسري في دمائك، جينات من دم أمك ،التي ولدت وفي عينيها روائع كبير النحاتين الإيطاليين ، مايكل أنجلو ، وأسطورة النحت دونا تيلو ...

أنا في غاية السرور ، رغم المخاوف التي تلسعني بإبرها الحادة .

علال البوجي : هكذا وهو يصحح وجهة يدي الشاب.. أنت رائع.. نسيت أن تخبرني عن اسمك؟

الأم السيدة كريسي مسعود : اسمه ناصو.. ناصر

ولد هنا أثناء تواجدنا في البيت العائلي، سماه بهذا الاسم جده ناصر .

ولما سألت المرحوم مسعود عن الاسم ،قال لي إنه اسم يمثل الكثير لجده .

واختصرنا اسمه فيما بعد إلى ناصو.

الشاب المطارد : كم يثير أعصابي هذا الاسم ، ربما لو كنت أحمل اسما آخر لتغير كل شيء.

ربما كنت، طيارا أو بائع ورد، أو منقب آثار .

ولما كنت مجدوع الأنف قليل الحظ .

الأم السيدة كريسي مسعود :هون عليك يا صغيري لا علاقة لنا بالأسماء سوى أنها أداة نعرف بها

علال البوجي: ضع كمية قليلة، من الصلصال على الجهة اليمنى .

الشاب المطارد :أظن أني فعلت بالقدر الكافي .

علال البوجي تماما : إنك تشعر بنشوة غريبة تماما، كبداياتي الأولى .

الشاب المطارد (وهو مندمج في التشكيل والنحت) أعتقد أن هذا جيد.

الأم السيدة كريسي مسعود :(في غاية السعادة وهي ترى إبنها و وحيدها مندمج في النحت والتشكيل وقد استغنى عن غطاء وجهه

ولم يعد يتمسك به) شكرا يا إلهي،أن جعلت في طريق وحيدي، هذا النحات الطيب .

علال البوجي : (متوجها إلى السيدة كريسي مسعود) ..

أيتها " السيدة كريسي مسعود" أنا أيضا في غاية الابتهاج، تغمرني نشوة كبرى ، خاصة حين أرى طيور الفرح، ترفرف بأجنحتها الزاهية على العيون ..فتنهمر حبات الدمع ، متلألأة على الخدود .

الأم السيدة كريسي مسعود : شكرا أيها الرجل الطيب .

الشاب المطارد : والآن لنرى شكل وجه هذا المنحوت .

علال البوجي (بدا متوتروهو يعرف الصعوبة المقبلة عليها مع الشاب في هذه الناحية الحساسة).

أما الأم السيدة كريسي مسعود (فأخذت تمتم وترفع يديها ، وتارة تنظر إلى الأرض)

الشاب المطارد :هل أضع كمية كبيرة من الصلصال على الوجه ؟.

علال البوجي :(مرتبكا)..بالتأكيد ، كما تريد .

الشاب المطارد:علي أن أنتقم من كل الوجوه، وهو يثبت الصلصال بيديه .

علال البوجي (متجاهلا ما سمع)

امسك جيدا المخرط لا تدعه ينفلت من يديك.

نسيت أن أعطيك قطعة من القماش تضعها على هندامك.

الأم السيدة كريسي: لا يهم.. حالا نعود إلى البيت سأغيرهما له.. المهم لا تقاطعه أيها النحات ..

الشاب المطارد: لا تقدم لي شيئا أيها الرجل النحات .

دعني أستعيد الأيام الخوالي، وعذابات السنين ، وإلى ما قبل ذلك الحادث يوم أن فقدت واجهتي التي اطل بها على العالم ..كم كان ذلك فظيعا...

(في هذه الأثناء تترآى السيدة كريسي مسعود وهي جاثية على الأرض وهي تحمل القنديل الصغير المنطفئ).

(بينما ينهمك علال البوجي في تقديم الصلصال، وبعض الأدوات في حيت يظل الشاب يعجن بكلتا يديه.

كومة الغضار التي تراكمت على وجه التمثال ، مواصلا سرد آلامه).

الشاب المطارد : وأفظع منه أن ترى الآخرين يفرون منك دون سبب ، بل يتمنون أن لا يلتقون بك في طريقهم..

لأنك تمثل بشرى غير سعيدة ،وحتى إذا ما أرادوا أن يتظاهروا بمظهر الإنسانية ، يشفقون عليك كقاصر .

عاقبه الحظ ..... (متوجها إلى النحات) : ناولني حجارتين

النحات علال البوجي :(مذعورا) بالطبع سيدي .. أمهلني بعض الوقت حتى أبحث عنهما بين تلك الخردوات .

الشاب المطارد : لا أنتظر... أريد أن أجعل من وجه هذا التمثال صخرة تتكسر عليها كل النظرات، البريئة منها أو المفتعلة ،و المركبة .

الأم السيدة كريسي مسعود:(مخففة من انفعال ابنها) : أعرف أن قلبك طيب ، حاول أن تكون حنونا مع وجه تلك القطعة التي نحن مسؤولون عنها ،وليس الأقدار.

الشاب المطارد : إذن أنت مسؤولة عن وجهي .

علال البوجي : لا ليس هي ،ولا عرجي ،أيضا مسؤول عنه أحد .

إن الدوافع التي يمنحها لي النحت تجعلني أكثر من معافى، ولا بد أن يمنحك النحت تلك الدوافع ...

هل تريد فرشاة؟ لتزيل تلك الزوائد الطينية ..

الشاب المطارد: إن هذا الوجه الذي أشكله، لابد أن يحمل عذابات كل الوجوه.

التي غرز فيها الألم أنيابه الحادة ..

علال البوجي (مقاطعا): إن النحات هو الوحيد الذي يستخرج متعته من قلب الحجر والفولاذ والطيون...

الأم السيدة : هل تريد أن أحضر لك الكعك الذي تحبه ؟

أعرف أنكما في حاجة إلى الطعام ...

الشاب المطارد : لا ..إني اشعر بمتعة ، أو كأني ممتطيا صهوة جواد يسبح بين أكف الرياح ..

الأم السيدة كريسي مسعود :

حسنا (بلهفة) لا تدعني يا صغيري وحيدة ،خذني فوق جوادك الأبيض .

علال البوجي: أنت الآن نحات ،كم كنت أتمنى أن تظل هده الحجرة مرسما للقادمين من ضفاف الألم ها ها ها.

الشاب المطارد : علي الآن أن أدخل المناطق المحرمة من جسم التمثال .

علال البوجي: (وهو يبلع ريقه بصعوبة) أريد شربة ماء عذرا ، ناوليني أيتها السيدة كوز الماء ...

السيدة كريسي مسعود : لا عليك، حالا أيها السيد..

(تسلم له كوز الماء فيضعه على رأسه)

علال البوجي: كم أشعر بالعطش ، إن أنهار العالم قد لا تروي ظمئي

الشاب المطارد : كيف ترى أنف التمثال أيها النحات ؟

علال البوجي : أعتقد أني أراه كما تراه ...

الشاب المطارد: وأنتِ يا أمي ؟

الأم السيدة كريسي مسعود: (برتباك واضح) وكيف لي أن أعرف وأنا لم أمارس النحت رغم أني ولدت في بيئته؟؟

الشاب المطارد : أنتما تتهربان ، ليس لديكماالشجاعة الكافية، الحقيقة قاسية رغم صدقها...

علال البوجي: شكل أنف التمثال كما تريده ، وسيكون جميلا بأي شكل كان .

الشاب المطارد: سأجعله مجدوعا مثل أنفي ،محاطا بأخاديد الجدري المخيفة.

سأرعب كل من يراه ،سأجعله منبوذا في المعارض.

أريد أن يعيش أنفي بكل آلامه بعدي.

الأم السيدة كريسي مسعود: هون عليك يا صغيري، ستثير أنت الإعجاب.

علال البوجي: الناس لا يسألون عن قصة المنحوت، بل من كتبها وشكلها بأعصابه وانفعالاته..

إن درجة الإبهار تأتي دوما من الصدق ، وذلك هو الجمال بكل تجلياته .

الشاب المطارد: انظر أيها النحات، كم يبدو وجهه مروعا..

هل تحب أن تضيف إليه شيئا؟

علال البوجي: هو رائع هكذا حقا ،سيكون مثيرا جدا .

الأم السيدة كريسي مسعود: أعتقد أنك أجمل منه.

لأنه ليس فيه روحك ...

علال البوجي: أكمل أنت الآن، أنت الذي تجيد التعبير عن نفسك، بل تبدع ..

الشاب ناصو : أحقا أيها النحات المتميز ، هاهو وجهي أيها العالم ، قد نزعت قناع الخوف ،والخجل إلى الأبد، لقد استعدت نفسي ووجهي ، من تلك الأشباح التي كانت تطاردني...

الأم السيدة كريسي مسعود: لك الشكر إلهي أن خلصت وحيدي من أشباح الخوف...

ومنحته الثقة الغائبة .

علال البوجي: أكمل.. كل جزء يحتاج إلى لمستك أيها النحات الشاب، أنت الآن تعبر إلى ضفة أخرى..

بروحك التي جرحها الوهم ، وتصغي إلى ذاك النداء الجميل الذي يترقرق صافيا شفيفا..

الشاب ناصو :هل يمكن أخذ التمثال معي ؟

علال البوجي: هو لك أنت الذي شكلته بأناملك وروحك، إنه رائع يثير الإعجاب ...

السيدة كريسي مسعود :لن ننسى لك ما فعلته من أجل صغيري أيها الطبيب.. بل النحات الطيب ...

(انهمكت السيدة كريسي مسعود في تنظيف مخلفات الصلصال وكل البقايا وتحاول أن تعيد ترتيب الأثاث بلمستها دون أن تغير الترتيب المعهود لدى النحات.. في حين يضع ناصو بمساعدة النحات اللمسات الأخيرة على التمثال،في الوقت الذي تتسلل أشعة الشمس باحتشام من إحدى النوافذ معلنة بداية يوم جديد .

السيدة كريسي مسعود :علينا أن ننصرف.. الصباح أطل رائعا ،رغم أني لم أنم كان حلما جميلا، هذا الذي عشته البارحة .

بكل أحاسيسي شكرا لك أيها النحات الإنسان .

علال البوجي: لم أفعل شيئا سوى أني منحت لنفسي شعورا جميلا ،بوجودكما معي .

آه آه نسيت أن أخبركما؟

الأم وابنها معا :عن ماذا أيها النحات الطيب ؟

علال النحات: التمثال لم يجف ولا يمكن أخذه بهذه الحالة بإمكانكما المكوث هنا حتى يجف، أو تعودا في الغد .

السيدة كريسي مسعود :لا بأس كما تريد ؟

الشاب ناصو : من الممكن أن نلفه جيدا ، وحين نصل إلى البيت نتركه يجف .

علال البوجي أو النحات : فكرة جيدة ولكن ربما أثرت اللفائف على شكل التمثال .

السيدة كريسي مسعود : من الممكن آه آه أن يتعرض التمثال إلى ما لا نريده .

الشاب ناصو :أعتقد أن اللفائف فكرة غير مجدية ، سنتركه يجف ونعود لأخذه فيما بعد..

النحات: حسنا أظن ذلك رأي وجيه.. وهو أيضا يمكنني من رؤيتكم من جديد

السيدة كريسي مسعود : ولان حان وقت مغادرتنا، كن سعيد أيها النحات الطيب سنذكرك بالتأكيد سنلتقي مجددا ..

ناصو: لا يمكنني وداعك لقد فتحت باب اللقاء ولن نغلقه .. سنلتقي أيها النحات الغرائبي.

النحات: بوجودكما كانت سعيدا، وكانت هذه الحجرة حية نابضة، علي أن أكمل مسيرتي ووحدتي أراكما .. دون إبطاء.

(ينزع النحات قبعته وينحني لتقبيل يد السيدة كريسي مسعود وتبادله بعناق صداقة)

(في حين يكتفي ناصو بوداعه من بعيد بعد أن استدار بوجهه نحوه.. هو يهم بالخروج من الباب ..

ينصرف ناصو وأمه السيدة كريسي مسعود)

(يعود علال البوجي النحات الأعرج إلى أوراقه المركونة في زاوية من الحجرة ، يبعثرها كأنه يبحث عن شيء)

علال البوجي: أين هي الرسالة الأخيرة التي لم أتمم قراءتها بعد أن فاجأني المخبر ومعينه ذات مساء؟..يا إلهي حين افقد بعضي ينتابني الألم، وحين أفقد ذكريات من أحب أشعر أنه لا معنى لوجودي .

(ترتسم على محياه مسحة من السرور المفاجئ ، مصدرها العثور على الرسالة)

النحات علال البوجي : هي هي بالتأكيد ها ها ها بكامل زينتها ، الزهور تطرز حواشيها ،ولون الحبر الأرجواني ،لايزال صامدا ها هاها.. من قال أن العطور تخفت أو يجف عبيرها حين تقطر من ورود القلب؟؟

كم أريد أن أغتسل في بياضك الموشى .

(يجلس على الكرسي الخشبي العتيق يمسح الرسالة بعينيه وكأنه يقوم بتمشيط كل سطر وكلمة وحرف وجملة.. يتأكد من الفواصل وكل العلامات ، وبعد أن يطمئن على وجودها.. يسترسل في قراءتها من حيث توقف قبل المداهمة)

لا يمكنني نسيان تلك القطعة الخشبية الرائعة التي حفرتها بأحاسيسك ، وشكلتها برؤيتك الضوئية..

أنتظر قدومك قبيل نهاية الربيع، لنجلس معا تحت شجرة الكستناء، المثقلة بالأغصان والوحدة.

(يضع الرسالة جانبا) يقوم من الكرسي الخشبي يتجه نحو النافذة ليلقي نظرة على المجهول بينما ، حزمة من أشعة الشمس تخترق الحجرة

******* النهاية********.**

الفهرس

المعراج والناي ٥

الفصل الأول ٧

المشهد الأول..... ٧

المنظر العام..... ٧

المشهد الثاني ١٢

المشهد الثالث..... ٢١

الفصل الثاني..... ٢٤

المشهد الثاني ٢٧

المشهد الثالث..... ٢٩

الفصل الثالث ٣٢

المشهد الأول..... ٣٢

المشهد الثاني ٣٤

المشهد الثالث..... ٣٨

رعشة الرماد .. أوالحبال المتشابكة ٤٢
شخصيات المسرحية ٤٣
الفصل الأول ٤٤
المشهد الأول..... ٤٤
المنظر العام..... ٤٤
المشهد الثاني ٥٠
الفصل الثاني..... ٥٣
المشهد الأول..... ٥٣
المشهد الثاني ٥٦
المشهد الثالث..... ٦١
للطين فاكهة أخرى ٦٧
شخوص المسرحية ٦٨
الفصل الأول ٦٩
المشهد الأول..... ٦٩

المنظر العام..... ٦٩
المشهد الثاني ٨١
الفصل الثاني..... ٨٤
المشهد الأول..... ٨٤
المشهد الثاني ٩١
المشهد الثالث ٩٨
الفصل الثالث ١٠٢
المشهد الأول..... ١٠٢
المشهد الثاني ١٠٦
المشهد الثالث..... ١١٢
الفهرس ١٢٦

***

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع